الباب الأول
حياة الحكيم الترمذى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

خصائص العصر الذى عاش فيه الحكيم

عاش الترمذى فى القرن الثالث الهجرى ، ذلك العصر الذى تميزت فيه الدولة الإسلامية بالوصول إلى أوج الثقافة والحضارة ، فكانت المدارس الفكرية والفقهية والحديثية والفلسفية والأدبية تعم العالم الإسلامى ، وكانت هناك مراكز كثيرة للإشعاع الثقافى والحضارى فى العالم الإسلامى، وفى هذا العصر كثر الإقبال على العلم والرحلة من أجل المعرفة ، فمن أراد الحديث توجه إلى الحجاز، ومن كان طالباً لعلم الرأى نزل بغداد ، ومن أراد اللغة العربية وآدابها نزل العراق على وجه الخصوص الكوفة والبصرة.

وقد تميزت منطقة خراسان بوجود كثير من شيوخ الصوفية ، وكان إقليم خراسان الذى تقع فيه مدينة ترمذ ، وما يليه من بلاد ما وراء النهر قبل الإسلام مسرحاً لكثير من المذاهب والمعتقدات التى يباين بعضها بعضاً أشد المباينة وكان يعيش بعضها إلى جوار بعض وينحو كل منهما ناحية خاصة من التعصب والغلو، فكان الجو الذى يسود هذا الإقليم جواً من التباين والتعصب والاضطراب يعيش على أراض تقسمها الأهواء والمذاهب والنحل.

أما فى الفقه فقد كان مذهب أبى حنيفة يسرع إلى هذه البلاد فيبلغ أطرافها ويكاد يعم رقعتها ، وكان يلاحقه فى أثره مذهب الشافعى يحاول أن يدركه فى أدنى بلاد الأقليم ، ويكاد يقطع عليه طريقه فى بعض الأطراف العليا الشماليه ، وإن نجح فى أن يعيش معه جنباً إلى جنب فى كثير من بلاد الوسط وإن تكن هذه الحياة سلسلة من التعصب والمغالبة ، ولقد وصف لنا المقدسى تفاصيل ذلك فى نص له إذ يقول فى وصف خراسان : (والغلبة فى الأقليم لأصحاب أبى حنيفة إلا فى كورة الشاش وإيلان الطرف الشمالى فيما

يلى نهر سيجون من ناحية وسط آسيا ، وطوس ونسا وابيور وطراز وحيفا روح وسواد بخارى وسبخ والدامغان واسفريين وجومان - أصل خراسان تقريباً وتميل إلى بحر الجزر قليلاً ما عدا بخارى فإنها فى وسط ما بين النهرين) فإنهم شافعية كلهم والعمل فى هذه المواضع على مذهبهم ولهم جلبة بهراه وسجستان وسرخس والمروية - وسط خراسان ويميل إلى الجنوب قليلاً - ولا يكون قاضياً إلا من الفريقين وخطباء المواضع التى استثنينا ونيسابور - وسط خراسان أيضاً شفعوية وأحد جامعى مرو أيضاً إلا أن الإقامة به وبنيسابور مثنى[1].

وكذلك نجد المذهب المالكى والمذاهب الأخرى قد وصلت هذا الإقليم ولكن ليست بنفس الدرجة التى حلها مذهب أبى حنيفة ومذهب الشافعى كما نجد فى خراسان الوسطى ومذاهب الغلاة من الشيعة والخوارج ، أما أطراف الإقليم فى الدنيا قد حل به مذهب أهل الرأى من المعتزلة.

وفى هذا الصدد يذكر المقدسى : (أن مذاهب أهل الإقليم مستقيمة أى أنهم على مذهب أهل السنة والحديث ، إلا فى سجستان ونواحى هراه وكدخ واسترجان فإن به طائفة من الخوارج ، وأما نيسابور فإن بها الشيعة والكرامية لهم فيها ظهور وغلبة ، وللمعتزلة بها ظهور كذلك وليست لهم بها غلبة وأما أهل ترمذ فهم جهيمة ، وأما أهل الرقة فهم شيعة، وأهل كندر قدرية.

وأما أقليم ما وراء النهر وبخارى فإن أولاد علىً به على غاية من الرفعة، ولا نرى به هاشمياً عربياً ، وأما الكرامية فقد كان لها ظهور فى أغلب مدن الإقليم ، وقد كان لهم جلبة فى هراه ومرج الشاه ، كما كان لها خوانق بفرغانة والختل والجوزجان ومرو الروذ وسمرقند[2].

ويتابع صاحب كتاب المعرفة عند الحكيم الترمذى[3] حديثه عن أحوال

(١) المعرفة عند الحكيم الترمذى : عبدالمحسن الحسينى - ص ٤٢ ، ٤٣.
(٢) أحسن التقاسيم للمقدسى - ص ٣٢٣.

الإقليم الذى عاش فيه الحكيم واحتضن نشأته فيقول : (أما فى التصوف فقد ظهر فى الإقليم لونان أساسيان تبعاً لهذين اللونين الرئيسيين اللذين ظهرا فى الكلام ، ذلك أن أحدهما كان يميل إلى التفكير العقلى الفلسفى الجرئ والآخر كان يميل إلى تفكير أهل السنة والجماعة، هذا التفكير التقليدى المحافظ ، أما الأول فظهر فى الجنوب وفى أماكن المعتزلة والمذاهب الفلسفية القديمة ، وأما الآخر فقد سار موازياً له ولكن إلى الشمال منه، ولكن هذين التيارين إختلطا أخيراً عندما اتحدا فى الممرات الضيقة إلى أواسط آسيا).

أما عن ترمذ ، المدينة التى نشأ بها الحكيم الترمذى فقد كان خليطاً لهذه المذاهب الإسلامية جميعها ، فهى مركز لهذا الإقليم تجتمع فيها كل هذه المذاهب، ولقد نشأ بها الجهمية ، كما امتدت إليها مذاهب أهل الحديث المعارضة ومذاهب الصوفية التى تتصل بذلك فظهرت الكرامية والمرجئة.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه إلى أن هذا العصر شهد أيضاً فى هذا الإقليم هذه المعركة المعروفة التى تتجه نحو جمع الحديث حيث تميز هذا العصر بجمع الحديث خدمة لعلوم الأحكام ، وحفاظاً على سنة رسول الله ﷺ من اللبس والتحريف.

ولا أدل على ذلك إلا هذه الحقيقة الواضحة ، وهى أن كتب السنة التى كانت نتاج هذه الحركة ، كانت جميعها وليدة هذا العصر وهذا الإقليم ، صحيح البخارى المتوفى سنة ٢٦٥ هـ ، وصحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ، وسنن أبى داود المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، وجامع الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، وسنن النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، وسنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

ويجب أن نشير إلى أن أبا عيسى محمد بن عيسى بن سورة صاحب كتاب الجامع الصحيح أحد الكتب الستة كان معاصراً للحكيم الترمذى ومن نفس بلده كما هو واضح من اللقب ، ولا يصل إلينا ما يدل على تلاقيهما أو تدارسهما الحديث.

وعود لما سبق أن بدأناه نقول: (أن طبقات الشافعية ذكرت الحكيم الترمذى على أنه من علماء الشافعية وورد اسمه مقترنا بمذهبه الشافعى على عناوين بعض كتبه مثل كتاب نوادر الأصول ، وكتاب تحصيل نظائر القرآن ونقل إلينا فى كتاب الفتوحات[1] المكية أن الحكيم الترمذى فى الأصل حنفى المذهب.

وإذا نظرنا إلى الرأيين نجد ما نقله ابن عربى أصح ، لأن الحكيم الترمذى كان يقول أنه يدرس علم الآثار وعلم الرأى ، وكان علم الرأى يعتمد أول ما يعتمد على مذهب أبى حنيفة.

ولقد ظهرت فى هذا الإقليم - الذى عاش فيه الترمذى - حركة أخرى موازية لحركة أهل الحديث ، وإن كانت تعتبر بالنسبة إليها فى المنزلة الثانية ، وهى حركة خاصة من حركات الصوفية ظهرت فى القرن الثالث الهجرى ، أما هذه الحركة فهى حركة الكرامية[2] ، وكذلك الحركة السالمية[3].

وهاتان الحركتان اللتان لقبتا بعد ذلك بصوفية أهل الحديث، أما البقعة التى اتخذتها هذه الحركة مركزاً لها فهى تقع وسط خراسان فى نيسابور وما حولها ، وإن كانت قد استطاعت أن تمتد بعض الأحيان الى أطراف مايلى أواسط آسيا ، إلا أنها كانت تسير موازية لحركة أهل الحديث التى كانت تقع إلى الشمال منها.

وهذه الحركة (حركة أهل الحديث) كانت تتصل بحركتين صوفيتين لكل منهما لون خاص ، الحركة الأولى : تتمثل فى مذهبين ، مذهب أصحاب الفتوة الذين ينتمون إلى شاه بن شجاع الكرمانى ، حاول أهل هذا المذهب أن يؤسسوا مذهبهم الصوفى على عاطفة إنسانية تتصل بالتربية والفروسية وهى الفتوة أو البطولة.

---

(١) لابن عربى - ٢/ ١١٤ ، ١١٥.

(٢) تنسب لمحمد ابن كرام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ.

(٣) أسسها سهل التسترى المتوفى سنة ٢٨٣هـ.

والمذهب الثانى : مذهب أهل الملامة الذين ينتمون إلى ثلاثة من أعلامهم هم : أبو حفص الحداد ، وحمدون القصار ، وأبو عثمان الحيرى.

وأهل الملامة حالوا أن يؤسسوا مذهبهم الدينى على أصول أخلاقية بعيدة عن جو الدين هى فكرة العقل والهوى أو النفس والروح.

والمراكز التى انتشرت فيها هذه الحركة بفرعيها هى نفس المراكز التى كانت تنتشر فيها الحركة الكرامية.

أما الحركة الثانية: هى الحركة التى نشأت ببلخ وما حولها فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجرى ، هذه الحركة التى لم تكن قد تميزت بعد بلون خاص سوى هذه المحاولات الأولية لتأسيس مذهب صوفى.

أما الحركة الثالثة : التى امتاز بها أقليم خراسان فهى تتصل بعلم الكلام، ونتج عن هذه الحركة المتصلة بعلم الكلام ، مذهب الخوارج ، وقد اتخذ المذهب فيما بعد صورة من صور مذاهب المتكلمين على يد جهم بن صفوان (١٢٨) فى مذهبه الذى نشأ بترمذ وهو (الجهمية) والى جانب ذلك الشيعة والمعتزلة والمرجئة.

هذه هى المذاهب الإسلامية التى تكون خصائص أقليم خراسان والتى ظهرت فى العصر الإسلامى ، ونستطيع أن نذكر إلى جوارها طائفة أخرى من المذاهب غير الإسلامية التى كانت تعيش فيها قبل الإسلام ، وامتد بعضهما إلى العصر الإسلامى تلك هى : مذاهب المانوية والمجوسية والبوذية، أما المجوسية فقد كانت الديانة الشائعه فيما يعرف بأرض إيران ، وأما المانوية فقد كانت تقع فى الجزء الشمالى مما يلى جبال إيران من ناحية الغرب حيث كانت تنتشر فى بعض البلاد ، وأما البوذية فقد أتت من ناحية الهند سائره نحو الشمال ، فاتخذت لنفسها مركزاً فى ترمذ وبلخ[1].

(١) المعرفة عند الحكيم الترمذى - عبدالمحسن الحسينى - ص ٤٨.

فهذه هى البيئة التى نشأ فيها الحكيم الترمذى يضاف إليها تلك البيئة الصغيرة التى ترعرع فيها الحكيم ، وهى اسرته ، حيث درس علم الرأى والآثار على والده وتعمق كثيراً فى علم الحديث ، ونجد أن الترمذى جمع فى دراسته علم الحديث والتصوف إلى جانب علم الكلام والعلوم الأخرى.

obeikandl.com

الفصل الثانى

حيـاتـــه

اسمه وأسرته :

اتفق جميع المترجمين للحكيم الترمذى على أنه محمد بن على ، وأنه يلقب بالحكيم الترمذى ، وأنه يكنى بأبى عبد الله ، ولكنهم اختلفوا فيما بعد ذلك من نسبه .

فأبو عبدالرحمن السلمى يذكر فى طبقاته ، جده الأول على أنه الحسن قائلاً: (ومنهم محمد بن على الترمذى ، وهو محمد بن الحسن وكنيته أبو عبدالله)[١] .

ويذكره الشعرانى فى طبقاته الكبرى ، على أنه الحسين فيقول : (ومنهم أبو عبدالله محمد بن على بن الحسين الترمذى الحكيم)[٢] .

ويذكر السبكى اسم جده الثانى فيقول: (محمد بن على بن الحسن بن بشر المحدث الزاهد ، أبو عبدالله الحكيم الترمذى)[٣] .

كما وقع الخلاف فى اسم جده الأول بين الحسن والحسين ، وقع أيضاً بين اسم جده الثانى بين بشر وبشير .

فنجد السبكى فى طبقات الشافعية يذكر أنه بشر بينما يذكره ابن حجر فى لسان الميزان على أنه : (محمد بن على بن الحسن بن بشير الترمذى المؤذن المعروف بالحكيم الترمذى)[٤] .

---

(١) طبقات الصوفية ص ٢١٧ .

(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٧٨ .

(٣) طبقات الشافعية ١٠/ ٢٣٣ .

(٤) لسان الميزان ٥/ ٣١٠ .

أما بعض الكتب ومنها نوادر الأصول للحكيم الترمذى نفسه نجد فيه (شير) بدل من (بشر أو بشير)[1].

فعلى هذا يكون اسمه محمد بن على بن الحسن (أو الحسين) بن بشر أو (بشير) أو (شير) الترمذى المعروف بالحكيم المكنى بأبى عبدالله.

مولده:

اختلفت كتب التراجم فى تحقيق تاريخ ميلاد الحكيم الترمذى وكذلك وفاته، اتفقت هذه الكتب جميعاً على أنه ولد فى أوائل القرن الثالث الهجرى، ولم تجزم واحدة منها على تاريخ محدد.

فالذهبى فى تذكرة الحفاظ[2] ، يذكر أنه رحل إلى نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وأنه عاش حتى بلغ الثمانين ، ومعنى ذلك أنه ولد على وجه التقريب سنة خمس ومائتين.

وابن حجر العسقلانى يذكر فى لسان الميزان[3] ، أن الأنبارى سمع منه سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وأنه عاش حتى بلغ التسعين ، ومعنى ذلك أنه ولد على وجه التقريب سنة ثلاثين ومائتين.

ورواية الذهبى لا تتعارض مع رواية ابن حجر ولكن الإستنتاج بأنه ولد على وجه التقريب سنة ثلاثين ومائتين معارض لما ورد فى كتب التراجم من أنه ولد فى أوائل القرن الثالث ، ومن أنه صحب أبا تراب التخشبى ، وأحمد بن خضرويه الصوفيين المشهورين ، ومن أنه روى عن قتيبه بن سعيد الثقفى ، وعن الحبس بن شفيق البلخى، ومن المعلوم أن أبا تراب النخشبى توفى عام خمسة وأربعين ومائتين[4] وأن أحمد بن خضرويه[5] وقتيبه بن

---

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذى (المقدمة).
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ١٩٧/٢ .
(٣) لسان الميزان لابن حجر ٣٠٨/٥ .
(٤) طبقات الصوفية للسلمى - ص ١٤٦ .
(٥) المرجع السابق - ص ١٠٣ .

سعيد[1] قد توفيا عام أربعين ومائتين، وأن صالح بن عبدالله الترمذى[2] قد توفى عام نيف وثلاثين ومائتين ، ويقال أن الحسن بن عمر بن شقيق قد توفى عام ثلاثين ومائتين[3].

ومن ذكر ما سبق نستنتج ما يلى (إذا كان الحكيم الترمذى قد ولد حوالى عام ثلاثين ومائتين ، كان معنى ذلك أنه بلغ من العمر عشر سنين وقت وفاة أحمد بن خضرويه وقتيبه بن سعيد ، وخمسة عشر عاماً عند وفاة أبى تراب النخشبى، وإذا أمكن أن يتحمل الحديث فى هذه السن بصورة من صور الاحتمالات فكيف تثبت صحبة الطريق والسلوك فى مثل هذا السن؟

ثم إذا علمنا أن الحكيم الترمذى لم يتجه الإتجاه الصوفى إلا بعد أن تجاوز السابعة والعشرين من عمره ، وأن هذه الصحبة لا بد أن تكون قد وقعت له بعد هذه السن أمكن لنا أن نستنتج - باستخراج هذه الأعوام السبعة والعشرين من الأربعين ومائتين التى توفى فيها أحمد بن خضرويه - أن الحكيم الترمذى كان موجوداً عام ثلاثة عشر ومائتين وإذا أضفنا أن هذه الصحبة استمرت عاماً أو عامين أو أكثر لأمكن لنا أن نستنتج بأنه قد ولد قبل عام عشرة ومائتين هـ)[4].

موطنه:

ولد الحكيم الترمذى فى مدينة (ترمذ) إحدى مدن ما وراء النهر الواقعة على ضفة نهر جيحون.

وقد ذكر الدكتور على حسن عبدالقادر والبرفسور آربرى فى مقدمتها لكتابى (الرياضة وأدب النفس) : (أن المؤرخ الفارسى : حافظ آربرى قال :

---

(١) تاريخ بغداد : ١٢/ ٤٦٤ .

(٢) المرجع السابق ٩/ ٣١٥.

(٣) المرجع السابق ٧/ ٣٥٥.

(٤) الحكيم الترمذى - دراسة لآثاره وأفكاره.

ان الأسكندر الأكبر أسسها ، وإنها كانت مركزاً للبوذية وقت الفتح الإسلامى، وكان بها اثنا عشر ديرا لذهاء ألف راهب ، وكان يحكمها ملك يدعى ترمذ شاه ، ويحميها حصن قوى على ضفة النهر)[١].

وقد فتحها فى سنة ٧٠ هـ / ٦٨٩م موسى بن عبدالله بن خازم ، واستمر على حكمها خمسة عشر عاماً ، ثم خلفه بعد ذلك عثمان بن مسعود، بأمر من المفضل بن المهلب حاكم الولاية[٢].

وكذلك نقل د. على عبدالقادر وآربرى عن كتاب (حدود العالم) لمؤرخ جغرافى لبلاد الفرس مجهول الاسم وصفا (لترمذ) ، بأنها مدينة زاهرة وسوق ختلان وشغانيا وإنها تنتج الصابون الجيد والحصر المجدولة الخضراء والمراوح[٣].

وقال عنها ياقوت الحموى فى كتاب معجم البلدان فقال: مدينة مشهورة من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى ، متعلقة العمل بالصغانيان ، ولها قهندر وربط ، يحيط بها سور ، وأسواقها مفروشة بالآجر ولهم شرب يجرى من الصغانيان لأن جيجون يستقل عن شرب قراهم[٤].

ووصف المقدسى[٥] ترمذ بأنها نظيفة طيبة ، والماء يسطح جانبيها وتقلع المراكب إليها من كل جانب ، وهى أول المدائن من أعلى النهر.

وقد وصفها الاصطخرى الكرخى ، بأنها مدينة على وادى جيحون ، لها قهندر ومدينة وربض ، ويحيط بالربض أيضاً سور ، ودار الإماره فى القهندر ، والحبس خارج القهندر فى المدينة فى السوق ، والمسجد الجامع فى المدينة ، والمصلى داخل السور فى الربض ، وأسواقها فى مدينتها وأبنيتها طين ،

---

(١) الرياضة وزدب النفس - ص٤.

(٢) فتوح البلدان للبلاذرى - ص٤٠٢ - ٤٠٨ .

(٣) مقدمة الرياضة وأدب النفس - ص٣ ، ٤.

(٤) معجم البلدان لياقون الحموى.

(٥) أحسن التقاسيم - ص٢٩١.

ومعظم شكلها وأسواقها مفروشة بالآجر ، وهى عامرة آهلة ، ومزجنه تلك النواحى على جيحون ، وأقرب الجبال إليها على نحو مرحلة ، وماؤهم للشرب من جيحون ، ونهر يجرى من الصغانيان ، وليس لضياعهم من جيحون شرب ، وشرب ضياعهم من نهر الصغانيان[١].

أما ترمذ اليوم بالإتحاد السوفييتى بالقرب من الحدود الأفغانية ، وكانت منذ عهد قريب داخل حدود أفغانستان.

ومن أشهر علماء ترمذ: أبو عيسى بن سوره الترمذى صاحب سنن الترمذى وكتاب الشمائل.

نشأته:

لا نكاد نعرف كثيراً عن أسرة الحكيم الترمذى ، إلا ما ورد من ترجمة أبيه على بن الحسن بن بشير هارون الترمذى[٢].

وما يرويه الحكيم الترمذى نفسه من الأحاديث المروية عن أبوه ، مما يدل على أن أباه كان مشتغلاً بطلب الحديث وروايته ، وقد أخذ أبوه يغرس فيه حب العلم وتحصيل المعارف ، ويحمله على ذلك حملاً فى وقت مبكر ، يقول الحكيم الترمذى (كان بد وشأنى أن الله تبارك أسمه قيض لى شيخى - رحمه الله عليه - من لدن بلغت من السن ثمانية يحملنى على تعلم العلم ويعلمنى ويحثنى عليه ويدئب ذلك فى المنشط والمكره ، حتى صار ذلك لى عادة وعوضاً من الملعب فى وقت صباى ، فجمع لى فى حداثتى علم الآثار وعلم الرأى)[٣].

ولا ندرى على وجه التحديد إلى أى مدى استمر والده يعلمه ، ولا ندرى إذا كان هناك من الشيوخ الآخرين من تتلمذ عليه الحكيم فى صباه وفى

(١) المسالك والممالك - ص ١٦٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٣ ، ٦٢٢.

(٣) بدو شأن الحكيم الترمذى - مخطوط مكتبة اسماعيل صائب بانقره - رقم ١٥٧١ (٩ ٠ ٢ب) - مقدمة ختم الأولياء - ص١٤.

صدر شبابه غير والده، أولاً لأن المصادر التى بأيدينا قد سكتت عن الحديث عن هذه الفترة من حياة الحكيم، وإن كان مما لا شك فيه أن هناك من شيوخ الترمذى الحكيم وأساتذته من قام بتعليمه إلى جانب والده ، وإن كان من المؤكد أنه قام بالنصيب الأكبر فى تثقيفه وتوجيهه فى الفترة الأولى من حياته ، ويؤخذ من كثرة روايته عن أبيه فى كتبه أن أباه لم يمت إلا بعد أن بلغ سن الشباب وحصل كثير من مسائل العلم ، وليس صحيحاً أنه مات وهو صغير كما يروى فريد الدين العطار فى تذكرة الأولياء[1].

أما عن أمه فقد كان الحكيم الترمذى شديد البر بأمه ويدل على ذلك ما رواه فريد العطار فى كتاب تذكرة الأولياء : (أنه - أى الحكيم - كان قد عقد النية فى أول أمره على الرحلة لطلب العلم فى رفقة اثنين من إخوانه ، وفى أثناء ذلك مرضت أمه ، وقالت له : يا بنى إنى امرأة ضعيفة لا عائل لى ، ولا معين يعيننى إنك المتولى أمرى فإلى من تكلنى وتذهب . فنالت هذه الكلمات من نفسه حتى عدل عن الرحلة ، ومضى زميلاه فى سبيلهما ، ثم مضى على ذلك بعض الوقت ، فبينما كان فى إحدى المقابر يبكى بكاءاً شديداً ويقول: ها أنا ذا قد بقيت جاهلاً ومهملاً وسيرجع أصحابى وقد حصلوا على العلم ، إذ به يرى أمامه فجأه شيخاً مشرق الوجه فسأله الشيخ عن سر بكائه ، فأفضى إليه بحاله ، فقال له الشيخ : ألا أعلمك فى كل يوم شيئاً من العلم ، فلا يمر عليك كثير وقت حتى تسبق إخوانك؟ فأجابه إلى ذلك ، واستمر الشيخ على تعليمه كل يوم ، ومضت على ذلك أعوام ، ثم عرف بعد ذلك أن الشيخ هو الخضر عليه السلام ، وإنه إنما حصل على هذا ببركة دعاء أمه . .)[2].

فهذه القصة ، وإن كانت أقرب للخيال منها إلى الحقيقة ، إلا أنها تحوى

---

(١) تذكرة الأولياء ٢/ ٩٠ ، ٩١ .

(٢) مقدمة ختم الأولياء ، ومقدمة كتابى الرياضة وأدب النفس - ص٧ ، ٨ .

فى ثناياها على مواد لها قيمة فى تكوين صورة عن حياته ما دامت تعوذنا المعلومات الموثوق بها.

وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أو من صنع الخيال ، فإنها تعطينا ملامح قليلة عن أسرته ، إذ يبدو أنه كان وحيد والديه ، وأنه لم يكن لأمه حينئذ عائل غيره ، وإنه لذلك ضحى بأمنية عزيزة ، وهى الرحلة فى طلب العلم وظلت هذه التضحية تؤلمه حتى عوضه الله خيراً بلقائه ببركة دعاء أمه.

وكذلك يعطينا الحكيم الترمذى ترجمة ترجم بها لنفسه فى رسالته التى تحمل اسم (بدو شأن الحكيم الترمذى) صورة كريمة عن زوجة صالحة تفيض بالإخلاص والتقوى مما كان له - دون شك - كبير الأثر فى حياته الروحية[١].

أما عن أولاده ، فقد ذكر لنا فريد الدين العطار[٢]، أن أبا عبدالله تزوج وأنجب أولاداً ، ويقص هذه القصة : (وهى أن أولاده سئلوا كيف كان حال أبيهم عندما يغضب؟ فقالوا : اننا نعرفه عندما كان يغضب ، فإنه يكون أكثر حناناً وأشد عطفاً، كان يكف عن الطعام والشراب وينتحب ويقول : يامولاى، كيف أغضبتك حتى جعلتهن يغضبونى ، تبت إليك يا مولاى فاصلح حالهم[٣].

وفى ثنايا الحديث عن أسرته كتب د.الجيوشى[٤] عن أسرة الحكيم فقال:(عرفنا أن والد الحكيم كان أحد علماء ترمذ ومحدثيها وقد كانت أمه كذلك ذات معرفة بالحديث فقد روى عنها فى كتابه الرد على المعطلة ، أما عن حياته الأسرية الخاصة فيبدو أنها كانت حياة موفقة ترفرف عليها السعادة، ويحوطها الحب والتفاهم ، فقد تحدث عن زوجه حديثاً ملؤه الإجلال ،

---

(١) مقدمة ختم الأولياء : للدكتور عثمان يحيى - ص١٢.

(٢) تذكرة الأولياء ٢/ ١٩١ ، ١٩٢.

(٣) مقدمة الرياضة وأدب النفس - ص ١٠.

(٤) مقدمة كتاب معرفة الأسرار للحكيم والترمذى - تحقيق د/ محمد ابراهيم الجيوشى - ص ١٥.

الإكبار ، وقد كانت لها بعض التجارب الروحية ، وكانت تشارك زوجها فى طريق الرياضة والمعتقد، أنها كانت على قدر لا بأس به من الصفاء الروحى والسعى الحثيث فى الوصول إلى الله ، وكان الحكيم رب أسرة كبيرة، فقد ذكر فى بعض رسائله أنه بلغ من العمر خمساً وستين وأنه له خمسة من البنين ، والمعتقد أنه كان فى حالة ميسورة ، فقد ذكر فريد الدين العطار قصة فهم منها أنه كان عنده خادمة ترعى أطفاله وتقوم على شئونهم مما لا يتهيأ إلا لأهل الغنى واليسار).

رحلاتـه:

ارتحل الحكيم الترمذى فى السابعة والعشرين من عمره إلى العراق طالباً للحديث، ومنها إلى البصرة ، ثم خرج إلى مكة المكرمة بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج كما يحدث عن نفسه فى ترجمته عن نفسه (بدو شأن الحكيم) وفى هذه الرحلة إلى مكة تطهرت فيها نفسه وأرهفت مشاعره ، وبدأت روحه تصفو وتستعد للفتوحات الإلهية ، ويقول هو عن نفسه موجزاً نتيجة هذه الرياضة والتضرع والدعاء الذى أقام عليه مدى خمسة أشهر: (فى هذه الأوقات التى تنام فيها الأعين وتأوى الجنوب إلى المضاجع ، وفى تلك الرحاب التى باركها الله وطهرها وجعلها موئلاً لرحمته وساحة لقبوله ، ومجلى لرضاه يقول ، فرجعت وقد أصبت قلبى) وأيضاً يقول عن هذه الرحلة المقدسة التى كانت كما يبدو نقطة تحول فى حياة الترمذى ، وترقيه الروحى ، وكانت فتحاً جديداً فى طريقه إلى الله فهو يقول عن نفسه أثناء اقامته بمكة : (وسألته عند الملتزم فى تلك الأوقات أن يصلحنى ويزهدنى فى الدنيا ، ويرزقنى حفظ الكتابة ، وكنت لا أهتدى لشئ من الحاجات غير هذا)[1].

وانتهى به المطاف إلى أن رجع إلى وطنه وأصبح يميل إلى الخلوة ويأتنس بالوحدة.

---

(١) بدو شأن الحكيم - مقدمة ختم الأولياء - ص١٤.

وآخر الرحلات التى قام بها الحكيم إلى بلخ إثر موجة من موجات الاضطهاد العنيف التى تعرض لها ، وقد تحدثت عنها أغلب الكتب التى ترجمت له (وقد استقبله أهل بلخ بالقبول والترحاب لإتفاقهم معه فى المذهب والأفكار)[1].

وقد نقل أخبار هذه الرحلة كل من الذهبى وابن حجر والسبكى مسندين أصلها إلى السلمى ، وأن السبب فيها أنه ألف كتاب ختم الأولياء وكتاب علل الشريعة ، وأن أهل ترمذ هجروه لذلك ، ويسند الذهبى إلى السلمى أنه نفى من ترمذ إلى بلخ بسبب تأليف هذين الكتاب[2].

ثم يأتى السبكى فيسند روايته أيضاً للسلمى فيقول : (قال أبو عبدالرحمن السلمى نفوه من ترمذ وأخرجوه منها وشهدوا عليه بالكفر وذلك بسبب تأليفه كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة)[3].

وبقى فى بلخ حيث أكرمه أهلها وقدروه حق قدره فأقام بينهم حتى توفى.

وفاتـه:

إذا كانت كتب التراجم والطبقات والسير قد لزمت الصمت بالنسبة لميلاد الحكيم الترمذى فإنها قد تحدثت عن تاريخ وفاته حديثاً بتفاوت الخلاف فيه حتى يصل إلى خمسة وستين عاماً.

فقد ذكر بعض المؤرخين لوفاة أبى عبدالله أنها كانت فى سنة ٢٥٥ هـ٨٦٨م وقد جاء ذلك فى سفينة الأولياء وفى أماكن من كشف الظنون ولكن هذا لا يتفق وما كتبه الترمذى عن بعض الرؤى التى رأت زوجه له وذكر تاريخ هذا الرؤى حيث يقول فى رسالته (بدو الشأن) (ورأت - أى زوجته-

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧ - لسان الميزان - ٥/ ٣٠٨.
(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧ ط - حيدر اباد الدكن.
(٣) طبقات الشافعية ٢/ ٢٠ - ط الحسينية المصرية.

لأثنين أو لثلاث وذلك يوم السبت ضحى لعشر بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين[١].

وكذلك ليس صحيحاً ما ذكر ماسيثيون وبعض أماكن فى كشف الظنون من أن وفاته كانت عام ٣٨٥هـ لأن الذهبى والسبكى يرويان أنه طرد من ترمذ ورحل إلى نيسابور وأخذ يدرس الحديث هناك وكان ذلك فى عام ٢٨٥هـ[٢].

ولا يمكن التسليم بما استنتجه د.على حسين عبدالقادر و د.آربرى من أن وفاته كانت فى حدود عام ٢٩٦هـ ، لأن ابن حجر يروى فى لسان[٣] الميزان أن الأنبارى سمع منه عام ٣١٨ هـ ، وأنه عاش حتى بلغ التسعين.

والحق أنه ليس هناك دليل قاطع على تاريخ وفاة الترمذى الحكيم ، لذلك لا يمكن للباحث أن يقطع بتاريخ محدد ، ولكن يمكن بعد استعراض هذه الآراء السابقة أن نقول : أن وفاته كانت بعد عام ٣١٨ هـ كما ذهب إلى ذلك بروكلمان.

وهناك رأى آخر كتب عن وفاته لم أجده إلا عند الكتانى صاحب الرسالة المستطرفة ، فعند الحديث عنه نوه بأنه مات مقتولاً ، ولم تذكر كتب التراجم شيئاً عن وفاته مقتولاً سوى ما قاله : (الحكيم الترمذى المؤذن الصوفى أحد الأوتاد الأربعة وصاحب التصانيف المتوفى مقتولاً ببلخ)[٤].

(وقبره معروف الأن فى خرائب ترمذ القديمة يقول بارثولد : ونجد بين الأبنية فى خرائب المدينة القديمة ، ضريح الولى أبى عبد الله محمد بن على الترمذى ، وهذه الضريح من المرمر الأبيض ، وقد ذكر بوسلافسكى أن هذا الأثر لا يفوقه من حيث الصنعة والمادة أى أثر آخر من الأثار القديمة، التى

---

(١) بدو شأن أبى عبدالله (مقدمة ختم الأولياء) ص ١٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧ - طبقات الشافعية ٢/ ٣٢٠.

(٣) لسان الميزان ٥/ ٣٠٨.

(٤) الرسالة المستطرفه للكتانى - ص ٤٣ - ط دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان .

عرفت حتى الآن فى هذه النواحى ، ولم يقم الضريح معاصرو الترمذى ولا يمكن أيضاً أن يكون بناؤه قد حدث قبل القرن الرابع عشر الميلادى بدليل الخط العربى النسخى الذى كتب على هذا القبر وهو خط هذا العصر ، وقد جاء ذكر هذا القبر فى تاريخ تيمور[1].

(٢) كتابى الرياضة وأدب النفس (المقدمة) - ص ١١ .

obeikandl.com

الفصل الثالث

أولاً: شيوخه وتلاميذه

فى مستهل الحديث عن شيوخ الحكيم ممن أخذ عنهم ، لم يحدثنا الترمذى على مَنْ تعلم ، اللهم إلا إخباره إيانا عن والده ، وأنه أول من أخذ عنه الحديث أشار إلى ذلك فى ترجمته لنفسه (بدو الشأن).

إلا أنه عندما بلغ سبعة وعشرين عاماً ، عندها عزم النية على أداء فريضة الحج ، وفى طريقه إلى مكة عرج إلى العراق ، وأقام بالبصرة والكوفة ويأخذ الحديث عن شيوخها ، ولكنه أيضاً لم يذكر أسماء هؤلاء الشيوخ ولا مدى تأثره بهم.

ولكن كتب التراجم ذكرت حوالى سبعة عشر من شيوخه الذين تلقى عنهم الحديث فى خراسان ، ولكن نستطيع أن نجد طائفه من أسماء أساتذته إلى جانب ما ذكرته المراجع ما استخلص من أسانيده فى رواية الحديث.

وفى ترجمة الحكيم لنفسه - لا يذكر أنه تلقى أصول الطريق على أحد من المشايخ، بل على العكس من ذلك يذكر أنه حين صحت عزيمته ظل يسترشد فى البلاد فلا يجد من يرشده أو يعظه بشئ يتقوى به على أمره[1].

ولعل عدم وجود شيخ فى التصوف للحكيم يلقى ضوءاً عن اتجاهه الذى يعبر عنه فى رده على جواب لبعض إخوانه من الرى ، وفيه ينصح صاحبه ألا يطلب الخالق بالمخلوق، وهذا على غير المعروف عند عامة شيوخ الصوفية من ضرورة وجود الشيخ حتى يصل السالك على يديه، ولهذا يرددون قولهم المأثور «من لا شيخ له فشيخه الشيطان »[2].

---

(١) بدو شأن الحكيم (مقدمة ختم الأولياء) ص١٥ .

(٢) الحكيم الترمذى دراسة لآثاره وأفكاره - د. الجيوشى - ص٣٧ .

ومن شيوخ الحكيم الترمذى :

١ - والد الترمذى :

على بن الحسن الترمذى ، قد ورد ذكره فى كتاب تاريخ بغداد ، على أنه على بن الحسن بن بشير بن هارون الترمذى ، وأنه حدث ببغداد عن شداد بن حكيم وصالح بن عبدالله الترمذى ، وقد روى عنه محمد بن مخلد[١] . وروى عنه الحكيم كثيراً من الأحاديث التى تناولها فى كتبه .

٢ - صالح بن محمد الترمذى :

هو أبو محمد صالح بن محمد بن نصر محمد بن حموكيان بن شارخ الترمذى حدّث عن السدى وحمدان بن ذى النون والقاسم بن عبّاد ، روى عنه الحسن بن خلاّل المعترى ، حدّث بترمذ وبغداد ، وابن حيان فى تاريخ الثقات يتهمه بالإرجاء ، ويقول أنه جهمى ، وأنه كان داعية يبيح الخمر ويحل شربه وأنه دجال من الدجاجلة ، وكان قاضياً بترمذ توفى سنة ٢٢٩ هـ[٢] .

٣ - الجارود بن معاذ السلمى الترمذى :

هو أبو عبدالله صالح بن عبدالله بن ذكوان الباهلى الترمذى حدّث بترمذ وبغداد، حدث عن مالك بن أنس وحماد بن زيد وابن مبارك وشريك ، وروى عنه الترمذى والصفانى ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل وأو زرعه ، وأبو حاتم الرازى ، ويصفه أبو حاتم بأنه صدوق ، أما ابن حيان فيذكره فى الثقات ، ويقول عنه أنه صاحب سنة وفضل ، ويفرق بيه وبين صالح الترمذى (السابق ذكره) توفى بمكة ٢٣١ - ٢٣٩ (مختلف فى وفاته)[٣] .

---

(١) راجع تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٦ - تاريخ بغداد ٩/ ٣٣٠ - طبقات الشافعية ٢/ ٢٠ - ميزان الإعتدال للذهبى ٢/ ٣٠٠ - لسان الميزان ٣/ ١٧٦ .

(٣) راجع تاريخ بغداد ٩/ ٣١٥ - تهذيب ٤/ ٣٩٥ - طبقات الشافعية ٢/ ٢٠ .

٤ - الحسن بن عمر بن سقيق البلخى :

هو الحسن بن عمر بن شقيق بن أسماء أبو على الجرمى البصرى ، وهو من أهل بلخ كان ينزل البصره ، وكان يتجه إلى بغداد كثير الرواية عن البصريين عن حماد بن زيد وعبدالوارث بن سعيد وجعفر بن سليمان.

قال عنه أو زرعه : لا بأس به ، وأما البغدادى والبخارى فيرفعانه إلى درجة صدوق ، روى عنه عبدالله بن أحمد بن حنبل وأبو زرعه وأبو حاتم الرازيان، وموسى بن اسحاق الانصارى والحسن بن الطيب الشجاعى.

قال على بن محمد الجيبى سألت أبا على صالح بن محمد جزره الحافظ عن الحسن بن عمر بن شقيق قال شيخ صدوق.

يقال أنه مات سنة ثلاثين ومائتين : ويقال توفى حوالى سنة ٢٣٢ هـ[١].

٥ - قتيبة بن سعيد الثقفى البلخى :

هو أبو رجاء ، قتيبة بن سعيد البلخى مولى ثقيف واسمه يحيى ، وقيل على ، ولقبه قتيبة محدث خراسان ، وحدث عنه أصحاب الكتب إلا ابن ماجه، وروى عنه أحمد بن حنبل ، وابن معين ، رحل إلى العراق والمدينة ومكة والشام ومصر ، وكان إليه المنتهى فى الفقه ، وسمع مالك بن أنس والليث بن سعد ، وعبدالله بن لهيعه ، وبكر بن مضر ، ويعقوب بن عبدالرحمن وحماد بن زيد، وأبا عوانه ، واسماعيل بن جعفر وعبدالواحد بن زياد وسفيان بن عينيه.

ذكره أحمد بن حنبل فأثنى عليه ، وسئل عنه يحيى بن معين فقال: ثقه، وقال عنه قتيبة بن سعيد البغلانى: ثقة مأمون، وقال عنه عبدالرحمن بن يوسف بن خراش: قتيبة بن سعيد : صدوق.

---

(١) راجع : تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٥ - تهذيب التهذيب ٢/ ٣٠٩ - الجرح والتعديل ١/ ٢٥ - تذكرة الحفاظ٢/ ١٩٧.

ولد فى نحو خمسين ومائة للهجرة ، توفى عن نحو تسعين عاماً فى سنة أربعين ومائتين بقرية من رستاق بلخ تدعى بخلان كان قد أقام بها[1].

٦ - عيسى بن أحمد العسقلانى :

هو عيسى بن أحمد بن عيسى بن وردان أبو يحيى ، وهو بغدادى نزل عسقلان محله ببلخ ، حدث عن عبدالله بن وهب وأسحق بن الفرات والنضر بن شميل ويحيى بن حجاج وبشر بن بكر التنيس ، وبقيه بن الوليد وحمزه بن ربيعه، وبديل بن ورقاء ، وروى عنه عامة الخرسانيين ، وأبو حاتم الرازى يقول عنه: أنه صدوق.

ولد ببغداد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ٢٦٨[2].

٧ - أحمد بن خضرويه البلخى :

أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبى وحاتم الأصم ورحل إلى أبى يزيد البسطامى السلمى.

قيل لأبى حفص: من أجل من رأيت من هذه الطبقة ؟ قال : ما رأيت أحداً أكبر همه ، ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه ، ذكره أبو نعيم فى الحلية وأبو عبدالرحمن السلمى فى طبقاته[3].

٨ - أبو تراب النخشبى :

عسكر بن محمد بن حصين ، من كبار مشايخ خراسان المذكورين بالعلم والفتوى، صحب أبا حاتم العطار البصرى ، وحاتم الأصم البلخى ، توفى بالبادية ، كتب الكثير من الحديث ، ونظر فى كتب الشافعى ، وتفقه على مذهبه ، وحدث عن محمد بن عبدالله بن نمير ، ونعيم بن حماد ، وأحمد

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٦٤ - تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٣ - الجرح والتعديل ٣/ ١٤٠ - تهذيب التهذيب٨/ ٣٥٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٠٦ - تاريخ بغداد ١١/ ١٦٣.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠/ ٤٢ - طبقات الصوفية - ص١٠٣ - ١٠٦.

بن نصر النيسابورى وغيرهم ، وروى عنه أحمد بن الجلاء وأبو بكر بن عاصم وعبدالله بن أحمد بن حنبل وآخرون.

وكان عبدالله بن الجلاء يقول : لقيت ستمائة شيخ ، مالقيت فيهم مثل أربعة: أولهم أبو تراب النخشبى ، قال ابن الصلاح : والثلاثة الآخرين : أبوه يحيى الجلاء ، وأبو عبيد اليسرى ، وذو النون المصرى رضى الله عنهم أجمعين(١).

٩ - يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى :

سمع اسحاق بن سليمان الرازى، ومكى بن ابراهيم البلخى، وعلى بن محمد الطنافس.

وروى عنه الغرباء من أهل الرى وهمذان وخراسان ، أحاديث مسندة قليله ، وكان قد انتقل عن الرى وسكن نيسابور إلى أن مات بها ، وقدم بغداد واجتمع إليه مشايخ الصوفية ، ونصبوا له منصة ، وأقعدوه عليها ، وقعدوا بين يديه يتحاورن ، فتلكم الجنيد فأسكته يحيى قائلاً : مالك والكلام إذا تكلم الناس!! تكلم فى علم الرجاء وأحسن الكلام فيه ، وخرج إلى بلخ وأقام بها مدة ، ثم رجع إلى نيسابور وتوفى بها سنة ثمان وخمسين ومائتين(٢).

١٠ - يعقوب بن أبى شيبة :

هو يعقوب بن أبى شيبه بن الصلت بن عصفوره أبو يوسف مولى سدوس من أهل البصرة ، سكن بغداد وحدث بها وبسر من رأى ، وصنف مسنداً معللاً إلا أنه لم يتمه ، وكان من فقهاء البغداديين على قول مالك ولد عام١٨٢هـ وتوفى سنة ٢٦٢هـ.

---

(١) طبقات الصوفية - ص ١٤٦ - السبكى ٢/ ٣٠٦ - الشعرانى - ص٧١.

(٢) طبقات الصوفية - ص١٤٦ تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨ - طبقات الصوفية - ص١٠٧ - الرسالة القشيرية - ص١٧. - حلية الأولياء ١٠/ ٥١ - تذكرة الأولياء ٢/ ٩١ - ٩٩.

سمع على بن عاصم ويزيد وبن هارون وروح بن عباده ، وعفان بن سالم ، ويعلى بن عبيد ، ومعلى بن منصور ، وأبا نعيم ، وقبيصه بن عتبه، ويحيى ابن أبى بكر وغيرهم ، وروى عنه ابن ابنه محمد بن أحمد بن يعقوب ، ويوسف بن يعقوب بن اسحاق بن البهلول ، وكان ثقة[1].

١١ - يعقوب الدورقى :

هو يعقوب بن ابراهيم بن كثير بن مزاحم أبو يوسف العبدى ، رأى الليث بن سعد وسمع ابراهيم الزهرى ، وسفيان بن عينيه ، ويحيى بن سعيد القطان ، واسماعيل بن عليه وغيرهم ، وروى عنه البخارى ومسلم ، وأبو داود وأبو زرعه وأبو حاتم الرازى والنسائى ، ولد عام ١٦٦هـ، وتوفى عام ٢٥٠هـ، وقيل سنة ٢٥٢ هـ، كان ثقة حافظاً متقناً مؤلفاً كتاب المسند[2].

١٢ - يحيى بن الجلاء :

من طبقة أبى تراب النخشبى ، وذى النون المصرى ، صحب بن خضرويه ورأى أبا يزيد كان من مشايخ الجبل وخراسان أما أبنه فلحق بالمدرسة الشامية بالرملة ودمشق[3].

فأما الدكتور عبدالفتاح بركه فى كتاب (نظرية الولاية عند الحكيم الترمذى)[4] والاستاذ عثمان يحيى فى تحقيق كتاب (ختم الأولياء) فى المقدمة[5] زاد على هذا العدد.

١ - سفيان بن وكيع :

وهو سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرواس كما ورد ذكره فى ميزان الإعتدال ، ونقل عن البخارى أنهم يتكلمون فيه لأشياء لقنوه أياها.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨١ - ٢٨٨ - تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤١.

(٢) تذكرتا الحفاظ ١١/ ٨٨ - تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٧ - تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٧ - طبقات الشافعية٢/ ٢٠.

(٣) طبقات الصوفية - ص٢١٧.

(٤) ١/ ٣٨-٤٣.

(٥) ٣٣، ٣٤.

وقال ابن أبى حاتم : أن أباه قد أشار عليه بتغيير وراقه ، فقد قيل: أنه كان له وراق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه ، أو مرسل فيوصله ، أو يبدل رجلاً برجل.

قال ابن حبان : مات سنة سبع وأربعين ومائتين ، وكان شيخاً فاضلاً صدوقاً، إلا أنه ابتلى بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم فى ذلك فلم يرجع[١] ويعد له الدكتور على حسن عبدالقادر ، وآربرى عدداً آخر من الشيوخ استخراجاً من روايته لهم فى رسالتى (الرياضة وأدب النفس) فقالاً:(وقد جاء عند السبكى أنه درس الحديث على جماعة من محدثى خراسان والعراق فذكر أباه(وهو ما يضعف رواية العطار بأن أبا عبدالله عاش يتيماً)، وقتيبه بن سعيد وصالح بن عبدالله الترمذى ، وصالح بن محمد الترمذى وعلى بن حجر السعدى[٢] ، ويعقوب الدورقى وسفيان بن وكيع ، وذكر الذهبى ما يماثل ذلك عن شيوخه ، وزاد الحسن بن عمر بن شقيق ، ويحيى بن موسى[٣] ، وعتبة بن عبدالله المروزى[٤] وعباد بن يعقوب الدواجينى[٥].

والذين روى عنهم كذلك فى هاتين الرسالتين (الرياضة وأدب النفس) أيضاً عبدالجبار بن العلاء[٦]، واسماعيل بن نصر[٧]، وعمر بن أبى عمر[٨]، وابراهيم بن المستمر البصرى[٩]، وأبو بكر بن سابق الأموى ، وعبدالكريم بن عبدالله وعبدالله بن أبى زياد ومحمد بن سهل.

---

(١) طبقات الشافعية ٢/ ٢٢ (٢) طبقات الشافعية ٢/ ٢٠

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧ .

(٤) المرجع السابق ٢/ ١٩٧ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧

(٦)مكى صالح توفى سنة ٢٤٨ هـ - الجرح والتعديل ٢/ ٣٢ - تهذيب التهذيب ٦/ ٤ .

(٧) الجرح والتعديل ١/ ٢٠٢ .

(٨) ضعيف الحديث - تهذيب التهذيب ٧/ ٤٤٧ .

(٩) تهذيب التهذيب ١/ ٦٤ ولم يذكر تاريخ وفاته - الجرح والتعديل ١/ ١٤٠ .

(وإذا أردنا أن نحصر أسماء شيوخ الترمذى وخاصة المحدثين فما علينا إلا أن نقوم بعملية مسح لمؤلفاته ونستعرض سلاسل الإسناد ونأخذ المحدث الأخير الذى تلقى عنه الحكيم مباشرة)[1].

ثم يستطرد د. الجيوشى قائلاً : (وقد قمت بهذا فعلاً مدفوعاً بحب الاستطلاع، ومحاولة معرفة درجة شيوخ الحكيم من المحدثين وما يتمتعون به من ثقة عند علماء الرجال فكانت القائمة التالية هى نتيجة هذه السياحة الشاقة فى مؤلفات الترمذى وأغلبها مخطوطات تقارب الستين بين رسالة وكتاب ، وأغلب شيوخه من المحدثين المقبولين لدى علماء الحديث)[2].

وأورد قائمة بأسماء الشيوخ مرتبة حسب حروف الهجاء منها ما سبق أن ذكرناه ومنها ما زاد عليه قارب عددهم ١٦٨ شيخاً سنتحدث عنهم إن شاء الله فى الباب الذى نتحدث فيه عن الحكيم المحدث.

تلاميذه:

أما عن تلاميذه ، فعلى الرغم من هذا العدد الضخم الذى ذكرناه من الشيوخ الذى روى عنهم ، نجد أن أتباع الشيخ الحكيم الترمذى ومريديه الذين أخذوا عنه وأذاعوا تعاليمه ، فقدرهم بحسب ما حفظ التاريخ أسماءهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة إلا قليلاً ، وهم:

١ - أحمد بن محمد بن عيسى :

كان من كبار مشايخ العراق وجلتهم ، وكان من جلساء الجنيد وأقرانه ، صحب سريا السقطى ، وأبا فتح الحمال ، وحارثاً المحاسبى ، وبشر الحافى، وطريقته فى الورع قريبة من طريقة بشر[3].

---

(١) الحكيم الترمذى دراسة لآثاره وأفكاره - ص ٤٠ - ٥٢ .

(٢) المرجع السابق (الحكيم الترمذى دراسة لآثاره وأفكاره) - ص ٤٠ - ٥٢ .

(٣) طبقات الصوفية ٢٤٩ - صفة الصفوة ٢/ ٢٢٣ - تاريخ بغداد ٥/ ٦٠ - طبقات الشعرانى ١/ ٨٤.

٢ - الحسن بن على الجوزجانى (الجرجانى) :

من كبار مشايخ خراسان ذوى التصانيف المشهورة ، وقد تكلم فى علوم الآفات والرياضيات والمجاهدات ، وربما تكلم فى علوم المعارف والحكم ، روى عنه السلمى فى رسالته عن الملاميتيه من أصولهم المعدودة[١].

٣ - أبو على منصور بن عبدالله بن خالد الذهلى الهروى :

من أهل هراء ، حدث عن جماعة من الخراسانيين بالغرائب والمناكير ، وقد توجه إلى بغداد وحدث بها ، وقال أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد الإدريسى : منصور بن عبدالله الهروى كذاب لا يعتمد عليه فى الرواية[٢].

٤ - أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم بن عمران بن بريه :

انبارى الأصل ، سمع أحمد بن الخليل البرجلانى ، ومحمد بن أبى العوام الرياحى وجعفر بن محمد الصائغ ، وأبو اسماعيل الترمذى ، وروى أيضاً عن ابراهيم بن اسحق الحربى.

وقد حدث عنه أبو الحسين بن الفضل القطان ، وأبو الفرج بن سميكه وعلى ابن أحمد الرزاز ، توفى فى عاشوراء سنة ستين وثلاثمائة[٣].

٥ - أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق الترمذى :

من ترمذ أقام ببلخ ، وصحب أحمد بن خضرويه ، ومحمد بن سعيد بن ابراهيم الزاهد ، ومحمد بن عمر بن خشنام البلخى.

أسند الحديث وصنف التصانيف المشهورة من أنواع الرياضات والمعاملات والآداب[٤].

---

(١) طبقات الصوفية - ص٢٤٦ - حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠ - الطبقات الكبرى ١/ ١٠٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٨٤.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٠.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥ - طبقات السلمى - ص٢٢١ - طبقات الشعرانى ١/ ٧٨.

٦ - أبو محمد يحيى بن منصور القاضي :

ولى قضاء نيسابور بضع عشرة سنة وكان من أساتذة أبى عبدالرحمن السلمى، وروى عن على بن عبدالعزيز البغوى ، وأحمد بن مسلمه وطبقتهما، توفى سنة ٣٥٠ أو ٣٥١هـ[١].

وجاء فى مقدمة كتابى الرياضة وأدب النفس (من تلامذته الذين رووا عنه الحديث : يحيى بن منصور القاضى ، والحسن بن على وغيرهم من محدثى نيسابور وممن صاحبوه فى التصوف والطريقة - كما جاء عند أبى نعيم والقشيرى - أبو تراب عسكر بن حاض النخشبى (توفى سنة ٢٤٥ هـ - ٨٥٩م)[٢] وأبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى توفى سنة (٢٤٠هـ ٨٥٤م)[٣] وعمره ٩٥ عاماً ، وأبو عبدالله أحمد بن يحيى الجلاء)[٤].

ويقول الدكتور / عثمان يحيى فى مقدمته لكتاب (ختم الأولياء) ويبدو واضحاً من هذا التثبت أن حظ شيخنا من الأتباع والمريدين كان ضئيلاً لا يتناسب تماماً وجلال قدره وعظيم خطره[٥].

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣/ ٩ .

(٢) الرسالة القيصيرية - ص ٢٠ - حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٠ .

(٣) الرسالة القشيرية - ص١٩ .

(٤) الرياضة وأدب النفس (المقدمة) ص٩ - ١٠ .

(٥) مقدمة ختم الأولياء - ص٣٧ .

ثانياً : ثقافته وفكره

يرتكز فكر الحكيم الترمذى أساساً على فهم القرآن الكريم والتعمق فى إستخلاص أسراره ومعانيه الظاهرة والباطنة.

فتحدث أولاً : عن ثقافة الحكيم ، فثقافته الأولى التى تطالعنا بين ثنايا مؤلفاته هى ثقافتا المحدث الذى اتصل بجميع فروع الحديث، وإنا وإن كنا لا نراه حريصاً على أن ينصرف إلى جمع الحديث على عادة المحدثين فى عصره على غرار الصحاح أو السنن بل نجد عنده الإختيار لتلك الأحاديث التى تضبط أعمال الفرد والجماعة فى الإعتقاد والعبادة والمعاملات ، كما تتصل بمكارم الأخلاق والزهد ، وإن كانت لا تغفل التاريخ وما وجد يومئذ من مشاكل السياسة والإجتماع.

فوضع فى كتابه (نوادر الأصول) - وهو أكبر كتبه الحديثية- ٢٩١ أصلاً عنون لكل أصل بعنوان ، ثم يأتى بالحديث أحياناً مسنداً وفى كثير من الأحيان يغفل الإسناد لا أدرى أهذا الصنيع من صنع الحكيم أو مما حقق كتابه فمال للإختصار بحذف الإسناد.

ثم امتدت مؤلفات الترمذى كذلك إلى التصوف ، فهو خير دليل على أنه اتصل بالصوفية وأخذ عنهم ، ومضى على طريقتهم ، إلا أننا نرى النزعة التى تسيطر عليه هى نفس النزعة التى كانت تسيطر على الصوفية فى محاولتها ضبط أعمال القلوب وإخضاع أعمال الجوارح لها وتنمية الجانب الروحى من الفرد والمجتمع.

أما الفقه فقد وجدناه جلياً واضحاً فى مؤلفات الترمذى ، فهو يناقش كثيراً من مسائل الأصول ، كما يناقش طائفه من الاشباه والنظائر والحيل

والمخارج وبقية علوم الفقه ، فيتكلم فى الصلاة والزكاة والحج والصوم وغيرها من الأمور والمسائل التى تتعلق بالفقه.

(أما علوم العقائد والكلام ، فهى واضحة جلية فى مؤلفاته ، وهو وإن لم يبد متكلماً صاحب مذهب أو مقاله ، فإنه قد أحاط بجميع مقالات الفرق ومذاهبها يبدو ذلك فى مناقشاته الكثيرة التى تزخر بها مؤلفاته والتى يعرض فيها لجميع الفرق تقريباً سوى أهل السنة ، إلا أنه لم يصطنع المنهج الكلامى فى هذه المناقشات.

أما الفلسفة فقد أحاط بفروعها جميعاً ، واستعان كثيراً ببعض مسائلها كما اصطنع أسلوبها فى بعض الأحايين ، فمؤلفاته تشهد بإتصاله بالمؤلفات الفلسفية اتصال إحاطة واستيعاب[1].

أما من ناحية اللغة فقد اعتنى الحكيم عناية كبيرة بالمنهج اللغوى فى التحقيق العلمى ونجد ذلك جلياً فى كتابيه (الفروق ومنع الترادف) و (تحصيل نظائر القرآن).

(ومؤلفات الحكيم الترمذى تصور ألوان الثقافة الإسلامية السائده فى عصره خير تصوير ، فقد وقف صاحبها كل نشاطه العلمى والفكرى ، على علمى الحديث والتفسير ، ومناهج السلوك وحكمة الشريعة والرد على بعض الفرق الضالة ، وتمتاز آثاره كلها بالنضوج والوضوح وعمق التجربة الروحية والعلمية فى آن معاً ، وأن كثير من إنتاج شيخ خراسان يبدو فى صورة مسائل ورسائل سأله خلالها أصحابه وأتباعه عن مشاكل نفسية وإجتماعية عرضت لهم ويطلبون منه حلها.

وعلى هذا ، تعتبر مؤلفات الترمذى ، فى هذا الميدان ، وثيقة هامة لفهم بعض جوانب ذلك العصر من الناحية النفسية والإجتماعية والفكرية)[2].

---

(١) نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى - لعبد المحسن الحسينى - ص٢٩.

(٢) ختم الأولياء - عثمان يحيى (المقدمة) - ص٣٨ ، ٣٩.

(فالترمذى لم يقنع بالإقامة فى بلد أو مصر خاص بل حاول أن يرتاد الأمصار جميعاً ، ولم يقنع كذلك بنوع خاص من ثقافة عصره بل حاول أن يظهر عليها جميعاً، ثم نجد هذه الثقافات بدورها لا تستقر فى رأسه منفصلة بعضها عن بعض بل يحاول أن يمزجها ليستخرج منها هذا المذهب الواحد المتماثل ليقدمه شفاء للأمة وتجديداً لدينها ، ثم لم يرض أن يضع نفسه فى زمرة وطائفه ما من طوائف العلماء فى عصره بل وضع نفسه فوقها جميعاً فقد آمن بإمتيازه فى نفسه ، وفى المذهب الذى أراد أن يرسخه ، لم ينس ذلك لحظة من لحظات حياته حتى بعد نفيه واضطهاده)[1].

(٣) نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى - ص ٣٠، ٣١.

obeikandl.com

ثالثاً: مؤلفات الحكيم الترمذى

(أما مؤلفات الحكيم الترمذى، فإذا أردنا أن نعددها فقد نستطيع أن نسمى له ما يقرب من ثلاثين مؤلفاً بين كتاب ورسالة وصل إلينا بعضها وفقد البعض، غير أن ما وصل إلينا يعتبر فى جملته الجزء الأكبر والأهم من هذه المؤلفات، كما نستطيع فى اطمئنان أن نعتبره كافياً لتصوير مذهب الترمذى)[1].

(ترك الحكيم الترمذى ما يزيد عن ستين مؤلفاً يسمى كل منها كتاباً وأكثر من مائتى رسالة تختلف أحجامها بين الطول والقصر ، وقد يبلغ الأمر ببعضها ألا يزيد عدد صحفاته على أصابع اليد الواحدة ، وأغلب هذه المؤلفات لم يقدر له أن يطبع بعد، منها ضائع لا نعرف عنها إلا بما يذكر ذكر بشأنها فى كتب القدماء ، والموجود من هذه الولفات موزع على مكتبات العالم المختلفة بين الشرق والغرب)[2].

ويتضح من هذين النصين : أن الأول يثبت أن للترمذى ثلاثين مؤلفاً والثانى يثبت أن له ما يقرب من ستين مؤلفاً بالإضافة إلى الكثير من الرسائل.

ولكن نقول أن الكتاب الثانى : (الحكيم الترمذى ودراسة لآثاره وأفكاره) متأخراً فى التأليف عن كتاب (المعرفة عند الحكيم الترمذى) ولعل الأول متأثر بما جاء فى دائرة المعارف حيث قال : (وقد بقى من تأليفه ما يقرب من ثلاثين مصنفاً أسلوبها مطنب بعض الشىء ولكنها مع هذا حافلة بالأسانيد).

---

(١) المعرفة عند الحكيم الترمذى - ص ١٧.

(٢) الحكيم الترمذى - دراسه لآثاره وأفكاره - د. الجيوشى - ص٥٤.

وكتب د.آربرى ، د. على حسن عبدالقادر فى كتابيهما الرياضة وأدب النفس فقالا : (وقد حفظت المكتبات كثيراً مما كتبه أبو عبدالله ، وإن لم يطبع من هذا إلا النذر اليسير ، وهناك ما ورد ذكره من كتب ورسائل لا تعرف إلا أسماءها ، وهذه جملة كتبه ورسائله، ما وجد منها بالفعل أو الاسم ، ويلاحظ أن أغلب هذه الكتب قصيرة ، وبعضها لا يتجاوز صفحات. .).

وذكر حوالى ٣٤ كتاباً تحت اسم الكتب الموجودة ، وحوالى ٨ كتب تحت اسم الكتب المفقودة.

(ويلاحظ الباحث أن الحكيم الترمذى كرر كثيراً من آرائه فى أكثر من كتاب ، وإذا أردنا أن نصنف كتبه حسب موضوعاتها ، فإنا نستطيع أن نضعها فى التقسيم التالى:

١ - التفسير.

٢ - الحديث.

٣ - الفقه.

٤ - علم الكلام.

٥ - فلسفة التشريع.

٦ - تاريخ الصوفية.

٧ - الآراء الصوفية.

وسوف أصنف كتب الترمذى ومؤلفاته حسب المطبوع منها أولاً ثم المخطوط من كتب الترمذى (حتى إعداد هذه الرسالة)[1].

(١) وسوف أضيف لهذه القائمة أماكن وجود المخطوطات ، نقلاً من كتاب د.الجيوشى « الحكيم الترمذى دراسة لآثاره وأفكاره » وخاصة أنها أكبر قائمة وأصحها فيما أعتقد لأنه أحدث كتاب عن الحكيم ومؤلفاته . . حتى تكون الفائدة أتم وأعم.

(أ) المطبوع من كتب الحكيم:

١ - أدب النفس : طبع فى القاهرة عام ١٩٤٧ مع كتاب الرياضة - تحقيق د. على حسن عبدالقادر ، والبروفسور آبرى.

٢ - الأمثال من الكتاب والسنة - تحقيق . على محمد البجاوى ١٩٧٥.

٣ - بدء شأن أبى عبدالله - ترجمة للحكيم بقلمه - نشرة الدكتور / عثمان يحيى فى مقدمة ختم الأولياء ببيروت سنة ١٩٦٥.

٤ - بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب - طبع بالقاهرة سنة١٩٥٨- تحقيق نقولا هير.

٥ - تحصيل نظائر القرآن - تحقيق الأستاذ / حسنى زيدان.

٦ - الحج وأسراره - تحقيق الأستاذ / حسنى زيدان.

٧ - ختم الأولياء - طبع ببيروت ١٩٦٥ - تحقيق عثمان اسماعيل يحيى.

٨ - الرياضة - تحقيق د. على حسن عبدالقادر ، والبروفسور آربرى سنة ١٩٤٧.

٩ - شرح الصلاة ومقاصدها - تحقيق حسنى زيدان.

١٠- الكلام على معنى لا إله إلا الله (شفاء العلل) - تحقيق د. ابراهيم الجيوشى.

١١- معرفة الأسرار - تحقيق د. ابراهيم الجيوشى.

١٢- منازل العباد من العباده (منازل القاصدين إلى الله) - تحقيق د. ابراهيم الجيوشى

١٣- نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول - طبع فى اسطنبول سنة١٢٩٣هـ- بعناية وشرح الشيخ / مصطفى اسماعيل الدمشقى.

١٤- آداب المريدين - تحقيق د. عبدالفتاح عبدالله بركه.

١٥- بيان الكسب - تحقيق د. عبدالفتاح عبدالله بركه.

١٦- المسائل المكنونة - تحقيق د. ابراهيم الجيوشى.

١٧ رسالة مكر النفس - تحقيق د. عبدالفتاح عبدالله بركه.

١٨- علم الأولياء - تحقيق د. سامى نصر لطف.

(ب) المخطوط من كتب الحكيم وأماكن وجودها :

١ - أبواب مختلفة - مخطوط الجمعية الآسيوية.

٢ - إثبات العلل فى الأمر والنهى - مخطوط ولى الدين.

٣ - الأدعية - مخطوط فارس أيا صوف (ومشكوك فى نسبته للحكيم).

٤ - كتاب الأكياس والمغتربين - مخطوط الظاهرية واسماعيل صائب.

٥ - أنواع المعارف - مخطوط ولى الدين وليبزج واسماعيل صائب والظاهرية.

٦ - بيان العلم - مخطوط اسماعيل صائب.

٧ - بيان الفروق بين الآيات والكرامات - مخطوط اسماعيل صائب وكلكتا.

٨ - الجمل اللازم معرفتها - مخطوط باريس ومنشستر.

٩- جواب كتاب الرى - مخطوط اسماعيل صائب وليبزج والظاهرية.

١٠- الحقوق - مخطوط اسماعيل صائب.

١١- الحكمة أو الخدمة من علم الباطن - مخطوط خراجى أوغلو.

١٢- الرد على الرافضة - مخطوط ولى الدين.

١٣- الرد على المعطلة - مخطوط بلدية اسكندرية.

١٤- رسائل فى الفتوه - مخطوط أيا صوفيا.

١٥- سبب التكبير فى الصلاة - مخطوط خراجى أوغلو.

١٦- شرح سؤالات فى التعبيرات الإلهية - مخطوط الزيتونه تونس.

١٧- شرح قول - ما الإيمان والإسلام والإحسان - مخطوط ليبزج واسماعيل صائب وولى الدين.

١٨- صفة القلوب - مخطوط قسطموني.

١٩- عرس الموحدين - مخطوط باريس - أسعد - اسماعيل صائب.

٢٠- العقل والهوى - مخطوط باريس وأسعد.

٢١- العلل أو كيفية الصلاة والوضوء والسواك - مخطوط ولى الدين والقاهرة.

٢٢- غرس الموحدين - مخطوط الجمعية الآسيوية كلكتا.

٢٣ - غور الأمور ويسمى الأعضاء والنفس - مخطوط باريس وأسعد.

٢٤ - الفروق ومنع الترادف - مخطوط باريس وأسعد وأيا صوفيا وحيدر باشا وبلدية الأسكندرية.

٢٥- مسائل أهل سرخس - مخطوط ليبزج واسماعيل صائب والظاهرية.

٢٦- مسائل التعبير - مخطوط ليبزج واسماعيل صائب.

٢٧- مسائل رقم واحد - مخطوط ليبزج واسماعيل صائب.

٢٨- مسائل رقم اثنين - مخطوط ليبزج.

٢٩- المسائل العفنة - مخطوط ليبزج واسماعيل صائب والظاهرية.

٣٠- المسائل المكنونة - مخطوط ليبزج وبلدية الأسكندرية.

٣١- منتخبات من كتاب الصفاء - مخطوط تسربيتى.

٣٢- المناجاة - مخطوط الأزهر.

٣٣- نوادر أصول العرفان وزواهر فروع الإيقان - مخطوط فينا.

٣٤- الهداية إلى معرفة آداب الولاية - مخطوط بدار الكتب المصرية.

(ج) الكتب المفقوده من مؤلفات الحكيم:

١ - كتاب الإرادات - ذكره الحكيم فى كتابه إلى محمد بن الفضل.

٢ - بيان المعرفة والصفاء.

٣ - تاريخ المشايخ.

٤ - تفسير - ذكره الهجويرى - وقال أنه لم يتمه - تفيسير آية لا شرقية ولا غربية مع تأويل أربعين حديثاً.

٥ - التوحيد - ذكر فى كشف المحجوب.

٦ - ختم الأنبياء - ذكره صاحب كشف الظنون - ص١٠٧.

٧ - سيرة الأولياء.

٨ - طبقات الصوفية - ذكره صاحب كشف الظنون - ص١١٠٤.

٩ - عذاب القبر - ذكره صاحب كشف المحجوب.

١٠- العلوم = أشار إليه الحكيم فى كتابه الأكياس والمغترين.

١١- المنهج فى العبادة - مذكور فى كشف الظنون - ص١٨٨٣ .

١٢- النهج - أشار د. نيقولا هير إلى أنه مذكور فى نفحات الأنس وكشف المحجوب.

ونظرة إلى هذه الأثارالتى تركها الترمذى الحكيم ، ترحى لنا بما كان عليه من ثقافة واسعة ، تدل على إتجاه واضح أدى إلى بث روح الدعوة الإيمان الوثيق بها.

ولتمام القائد لهذا الفصل وعند الحديث عن مؤلفات الترمذى لابد أن أسجل ما ذكره الأستاذ عبدالمحسن الحسينى[1] فى هذا الصدد فيقول : (نستطيع إذاً أن نصنف مؤلفات الترمذى تحت أربعة أبواب ، هى بعينها التى حاول الترمذى أن يصنفها فيها ، وهى بعينها التى حاول أن يصوغ فيها مذهبه، غير أنه يجب أن لا ننسى كذلك أن هذا التصنيف لا يستطيع أن ينتظم جميع مؤلفات الترمذى بدرجة واحدة ، وذلك لإختلاف أساليب صياغتها تبعاً لإختلاف الطبقات التى كان يكتب لها . . . إلى أن قال - هذه هى مؤلفات الترمذى وهذا هو التصميم الذى عمل فى توزيعها وكتابتها ، ونستطيع أن نورد بعد ذلك قائمة مختصرة نبين منها هذا التصنيف :

المجموعة الأولى:

(أ) ماكتبه فى المعرفة والعلوم :

١ - كتاب العلوم.

٢ - كتاب الدعاة وصدقهم وأحوالهم.

٣ - كتاب الأكياس والمغتربين.

---

(١) المعرفة عند الحكيم الترمذى.

٤ - كتاب الفروق ومنع الترادف.

٥ - كتاب الصلاة ومقاصدها.

٦ - كتاب تحصيل نظائر القرآن.

(ب) ماكتبه في الشريعة:

١ - علل الشريعة أو العبودية.

٢ - كتاب الصلاة ومقاصدها.

٣ - كتاب الحج وأسراره.

(جـ) ماكتبه في التصوف والأخلاق:

١ - العقل والهوى.

٢ - منازل العباد من العبادة.

٣ - حقيقة الآدمية أو الرياضة.

٤ - أدب النفس.

(د) ماكتبه فيما بعد عن الطبيعة أو الحكمة العليا:

١ - كتاب ختم الولاية.

٢ - كتاب الأعضاء والنفس أو غور الأمور.

٣ - كتاب عرس الموحدين.

المجموعة الثانية:

- (التي انتهج فيها أسلوب المحدثين):

(أ) في الشريعة والآداب (الطقوس):

١ - كتاب المنهيات.

٢ - كتاب الإحتياطات.

obeikandl.com

٣ - كتاب الجمل اللازم معرفتها.

(ب) فى النصوص :

١ - كتاب عذاب القبر.

٢ - كتاب الدر المكنون فى اسئلة ما كان وما يكون.

(ج) فى الإعتقاد :

١ - كتاب التوحيد.

٢ - كتاب الرد على المعطلة.

المجموعة الثالثة:

- ماكتبه للصوفية والمريدين :

١ - كتاب آداب المريدين.

٢ - تاريخ المشايخ أو سير الأولياء.

٣ - كتاب الأعضاء والنفس أو غور الأمور.

المجموعة الرابعة:

- ما اصطنع فيه أسلوب المحدثين ليلتمس أصول مذهبه من السنة :

١ - كتاب نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول.

٢ - كتاب الأمثال من الكتاب والسنة.

المجموعة الخامسة:

- وهى تحوى ماكتبه فى المناسبات المختلفة :

١ - كتاب المسائل المكنونة.

٢ - مسائل سئل عنها وذكر أجوبتها.

٣ - جواب كتاب عثمان بن سعيد.

٤ - بيان الكسب.

الفصل الرابع
مكانة الحكيم الترمذى العلمية

عند الحديث عن مكانة الحكيم الترمذى لا بد أن نتحدث عن أثر الحكيم الترمذى من محورين أساسيين. :

الأول : أثر الحكيم فيمن عاصره.

الثانى : أثر الحكيم فى المتأخرين عنه.

فالحديث عن الفقرة الأولى ، نجد أن الترمذى ترك أفكاره فى تلك الجماعة التى يطلق عليها اسم (الحكيمية) فتلك الجماعة كانت نتيجة للأفكار التى كان يتناولها بالعرض والتحليل مع كبار الشيوخ فى عصره اقتنع بها طائفة من تلاميذه الذين تلقوا عنه وأخذوا يسيرون على ضوئها.

وقد عددهم الهجويرى[1]. من الجماعات الصوفية العشرة الذى ارتضاهم واعتبرهم من أهل الجاده ، وقال عنهم أنهم أتباع محمد بن على الترمذى.

كما أننا نجد أثر الترمذى واضحاً فى فكر شيوخ الملاميته[2] كما أن الترمذى تأثر بهم . . . ، وكان لتلميذه أبى بكر محمد الوراق أثر فى مدرسة الملاميته.

أما عن أثر الترمذى فى المتأخرين عنه ينقسم إلى شقين:

الشق الأول : فى التصوف.

---

(١) ترجمة كشف المحجوب - نيكلسون ٢١٠ - ٢٤١ (نقلاً من مقدمة كتاب معرفة الأسرار - تحقيق د. الجيوشى.

(٢) الملاميته - الفكرة الأساسية التى يقوم عليها هذه المذاهب - وهو الاشتغال بعيوب النفس والحذر من مصائبها.

الشق الثانى : فى التفسير.

فقد تأثر به فى التصوف كل من الغزالى وابن عربى وابن قيم الجوزية فنلمح أثر الحكيم الترمذى فى إنتاج مفكر عظيم مثل الغزالى خاصة فى كتابه (إحياء علوم الدين) فى الجزء الخاص بعجائب القلب وربع المهلكات.

(وقلما نال كتاب فى الفكر الإسلامى من الشهرة والإهتمام مثلماً نال كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ، وفى هذا الكتاب الذى يعتبر أجمع كتب الغزالى وأشملها يبدو أثر الترمذى بوضوح فى موضوعين رئيسين من موضعات الكتاب أولهما : كتاب العلم ، وثانيهما : كتاب ربع المهلكات ، وفى كتاب العلم هذا يبدو أثر الترمذى واضحاً فى منهج تفكير الغزالى خاصة حينما يتحدث عن علم المعاملات الذى هو علم أحوال القلوب فإنه يستعمل التقسيمات وأنواع كل قسم كما فعل الترمذى من قبل، بل أن الغزالى يعدد الأصناف التى عدها الترمذى وكذلك فى حديثه عن العلم الظاهر والعلم الباطن وفى تناوله لأصناف العلماء ونقده الشديد لعلماء الظاهر الذين يتهالكون على الدنيا ويجرون وراءها ، ويعقد المقارنة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، وكذلك حديثه عن العقل وشرفه وأقسامه ويسهل على قارئ آثار الترمذى أن يضع يديه على كثير من المواطن التى يرى فيها طابع تفكيره فى كتاب العلم.

أما فى ربع المهلكات ، فإن ما جاء به الغزالى فى هذا الجزء من كتابه يجد الباحث أصله فى كتاب (الأكياس والمغتربين) للترمذى ، ففى هذا الكتاب قد حشد الترمذى ألوان السلوك والتصرفات والعبارات التى يفسدها الرياء ، وهوى النفس ، وربط ذلك كله بالمنبع الذى تصدر عنه وهو القلب، الذى هو مقر المعرفة ، التى من أعوانها الحق والعدل والصدق ، تلك الثلاثة التى جعلها الترمذى ضوابط للسلوك الإنسانى.

ونظرة سريعة إلى ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين ، تعطى صورة واضحة على مدى إعتماد الغزالى فى هذا القسم من كتابه على فكر الترمذى ومنهجه فى نقد هذه الصورة.

وكذلك نجد أثر الترمذى يطبع تفكير الغزالى ويوجهه فى تصور الغزالى للقوى المتصارعة فى النفس البشرية ، وذلك حينما يتحدث عن النفس والقلب وتصوره لها ولأعوانهما ، فإنه فى بناء هذه الفكرة يقوم أساساً على ما فصله الترمذى بفكرته عن القلب وجنوده ، فى فصل المعرفة والنفس وأعوانهما ، كما فصل الصراع بين العقل والهوى.

وهذا الأساس هو الذى جرى عليه الغزالى فى كتابه (كيمياء السعادة) حين تحدث عن النفس وقواها والقلب وعسكره)[1].

أما عن أثر الترمذى فى فكر ابن قيم الجوزية فقد انتفع بما كتبه الحكيم الترمذى فى كتابه (الفروق ومنع الترادف) فقد نقل فقرة منه فى كتابه الروح.

(فإن ابن قيم الجوزية ، حينما أراد أن يضرب مثلاً موضحاً لعمل المداراة لم يجد أمامه إلا ما كتبه الترمذى فى نفس الموضوع ، وإن كان قد أشار إلى أن هذا مثل مضروب ، لكنه لم يشر إلى مصدره ، يقول : وقد ضرب لذلك مثلاً مطابقاً وهو حال رجل به قرحة ألمته ، فجاء الطبيب المداوى الرقيق فتعرف حالها ثم أخذ فى تليينها حتى إذا نضجت أخذ فى بسطها برفق وسهولة ، حتى أخرج ما فيها ثم وضع على مكانها من الدواء والمراهم وما يمنع فساده ويقطع مادته ثم تابع عليها بالمراهم التى تنبت اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها[2]، وهذا الكلام ذاته مع تعبير أدق

(١) الحكيم الترمذى - دراسه لآثاره وأفكاره - ص ٣٣١ - ٣٣٣.

(٢) كتاب الروح - ص ٢٨١ - نقلاً من المرجع السابق..

ووصف أحكم للحالة هو ما ذكره الترمذى فى كتابه (الفروق) بل أكثر من ذلك فإن كل الفروق التى عددها ابن قيم الجوزية فى كتابه هذا وناقشها قد أخذها من كتاب الترمذى المشار إليه ، وفى الجملة فإن المتصفح لكتاب الروح من ص ٢٦٧ حتى ص ٣١٧ يبدو له مدى إعتماد صاحب كتاب الروح على فكر الترمذى)[١].

وأيضاً ظهر بوضوح إنتفاعه بما كتبه الحكيم فى كتابه (منازل العباد من العباده) فى كتابه (مدارج السالكين) وشرحه (منازل السائرين) للهورى.

وقد تأثر ابن عربى أيضاً بآراء الحكيم الترمذى فى حديثه عن الولاية والأولياء ونجد ذلك واضحاً كل الوضوح فى كتاب (الفتوحات المكية) فقد أجاب عن الاسئلة التى طرحها الحكيم فى كتاب (ختم الأولياء) فإنه أفرد للإجابة عنها مؤلفاً خاصاً سماه (القسطاس المستقيم فيما سأل عنه الترمذى الحكيم) ، وابن عربى عند حديثه عن الولاية والأولياء وضع كتاب الترمذى أمامه وهو كتاب (ختم الأولياء) كما يبدو عند مقارنة ما كتب فى الكتابين ، وعندما استعمل ابن عربى ما استعمله من رسالة الترمذى وجد فيها الأصول الأولى لمبادئه ، ثم طور هذه المبادئ الخاصة ، وذلك معروف فى طريقة ابن عربى حيث كان يلم بأشتات الموضوعات المختلفة ، ويضم إلى طريقته ما يلائمه منها ، ويزيد إلى ذلك ما يريد.

ويمكن أن يقال إن كل من تناول موضوع الولاية بالبحث بعد الحكيم الترمذى فقد تأثر بكتاباته سواء تقبل ما قاله ووافق على ما جاء فيه ، أو وقف منه موقف المعارضة والرفض كما نرى عند ابن تيميه فى مناقشته لبعض

(١) الحكيم الترمذى - دراسة لآثاره وأفكاره - ص٣٣٥ - ٣٣٦.

القضايا التى لم يوافق عليها وقبلها شيوخ الصوفية مثل عدد الصديقين وفكرة ختم الأولياء وغيرها.

أما من ناحية التفسير ، نرى القرطبى ينقل رأى الحكيم الترمذى فى تفسيره لأية من سورة النور والآية الكريمة ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾[1].

ولقد تابع الشركانى فى تفسيره (فتح القدير) فى تفسير هذه الآية ، القرطبى فى النقل عن الحكيم الترمذى.

ومنزلة الحكيم الترمذى ومكانته فعلى الرغم من أن كتب التراجم لم تعطنا ترجمة وافية عن حياة الحكيم ، إلا أن التقدير الحقيقى لمكانة الترمذى تعرف من أثره على من جاء بعده من الصوفية وغيرهم (وأن بقاء أكثر مؤلفات الشيخ الترمذى فى دور المكاتب ، إن فى الشرق أو الغرب لدليل بارز على عناية العلماء البالغة بها، وشيوعها فى الأوساط الإسلامية المختلفة . . . ، ومؤلفات الحكيم الترمذى تصور ألوان الثقافة الإسلامية السائدة فى عصره خير تصوير ، فقد وقف صاحبها كل نشاطه العلمى والفكرى على علمى الحديث والتفسير ومناهج السلوك وحكمة الشريعة والرد على بعض الفرق الضالة ، وتمتاز آثاره كلها بالنضوج والوضوح وعمق التجربة الروحية والعلمية فى آن معاً[2].

وتبرز مكانة الحكيم الترمذى أيضاً ، مما يتضح لنا من أقوال العلماء عنه وثنائهم عليه:

---

(١) سورة النساء - الآية ٣٥.

(٢) مقدمة كتاب ختم الأولياء - تحقيق يحيى عثمان - ص٣٨.

فقد عده الذهبى من رجال الطبقة العاشرة من حملة العلم النبوى ووصفه بقوله:

(الزاهد الحافظ المؤذن ، صاحب التصانيف ، ويقول عنه أنه عنى بشأن الحديث ورحل فيه)[1].

وابن تيميه حينما يناقش فكرة ختم الأولياء ، يعرض للترمذى ولا يرضى رأيه فى ختم الأولياء ، وعلى الرغم من إختلافه معه وعدم رضاه عن رأيه إلا أنه يعرف للرجل قدره ومكانته ويثنى على كثير مما كتبه[2]. .

(وتحدث عنه الهجويرى فى كتاب كشف المحجوب حديثاً يفيض بالإعجاب والتقدير ، اللذين لا حد لهما ، ويروى عن شيخه أنه أمة وحده، وهذا ما قاله الهجويرى: هو مؤلف كثير من الكتب القيمة التى تناول فيها ببيانه القوى وإظهار الكرامات التى وهبت له ، وأنا أكن له إحتراماً عظيماً وولاء كاملاً ، ويقول عنه شيخى أنه جوهرة فريدة ولا نظير له فى العالم كله، وقد خلف آثاراً تنطق بأعمال بناءه مخلصة ، وهو ثقة راسخ القدم فى حديث رسول الله ﷺ ، وقد بدأ فى كتابه تفسير كامل للقرآن الكريم إلا أن الأجل لم يمهله حتى يتمه ، وله نصيب كامل وصيت زائع بين علماء الكلام، وقد درس الفقة على صديق مقرب من أبى حنيفة ويدعوه سكان ترمذ . . . «محمد الحكيم» والحكيمية الجماعة الصوفية التى نشأت فى هذا الإقليم تنتسب إليه وتتبع تعاليمه[3].

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧.

(٢) حقيقة مذهب الإتحاديين لابن تيميه - ص٥٩ ، ٦٠ (ط. رشيد رضا).

(٣) ترجمة كشف المحجوب لنلكسون - ص١٤١ - نقلاً عن كتاب الحكيم الترمذى - دراسة لآثاره وأفكاره ص ٣٤٠.

وكتب عنه فريد الدين العطار فقال : السليم السنة ، عظيم الملة ، مجتهد الأولياء، منفرد الأصفياء ، حرم القدس ، شيخ الوقت محمد بن على الترمذى رحمة الله عليه ، المحتشم بين الشيوخ ، المحترم بين أهل الولاية ، الداعى بكل اللغات ، الشارح لمعانى الأحاديث والآيات، كل آية فى شرح المعانى والثقة فى الأحاديث ورواية الأخبار، والأعجوبة فى بيان المعارف والحقائق الكاملة القبول ، العظيم الشفقة، العجيب الحليم ، العالى الخلق ، صاحب الرياضات والكرامات ، الكامل فى فنون العلم ، المجتهد فى الشريعة والطريقة، إقتدى به جماعة من أهل ترمذ، ومذهبه فى العلم أنه عالم ربانى ، وهو حكيم الأمة ، وليس بمقلد لأحد، لأنه صاحب الكشف والأسرار والغاية فى الحكمة ولهذا سموه حكيم الأولياء)[1].

وذكره القشيرى فى الرسالة وقال : (كان من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القوم)[2].

وقال فى دائرة المعارف الإسلامية : (هو يدعو إلى الأخلاق الشريفة ، ويلعن فى كتابه (الأقباس) النفاق بأنواعه ، ويرفض الحيل التى كان يلجأ إليها المفتون فى عصره، وقال : ويعد الترمذى بحق رائد ابن عربى الذى جاء بعده بثلاث قرون ، فدرسه عن كثب وأعجب به.

وقد رد ابن حجر على ابن العديم حين وصفه بأنه لم يكن من أهل الحديث وقال: لعمرى ، لقد بالغ ابن العديم فى ذلك ولولا أن كلامه يتضمن النقل عن الأئمة لما ذكرته ، ولم أقف لهذا الرجل على ترجمة شافية.

---

(١) تذكرة الأولياء ١/ ٩١.

(٢) الرسالة القشيري ١/ ١٢٧ .

وذكره أبو نعيم فى الحلية فقال : صنف التصانيف الكثيرة فى الحديث، وهو مستقيم الطريق ، تابع للأثر ، يرد على المرجئه وغيرهم من المخالفين ، وذكر شيئاً من كلامه منها قوله : كفى بالمرء عيباً أن يَسُرَّهُ ما يَضُرُّهُ ، ومنها قوله : وقد سئل عن الخلق، فقال: ضَعفٌ ظَاهِرٌ ودَعْوَى عَرِيضَةٌ[1].

وذكره الكلاباذى[2] بين من صنف فى علوم المعاملات.

وذكره السلمى[3] بأنه من كبار مشايخ خراسان ، وأنه له التصانيف المشهورة وأنه كتب الحديث الكثير وراوه.

ويصف أبو الفرج ابن الجوزى أحد كتبه بقوله : (وقد صنف لهم رأى للصوفية أبو عبدالله محمد بن على الترمذى كتاباً سمّاه «رياضة النفوس»)، ولقد أشار إلى قيمة الحكيم الترمذى العلمية آربرى فى كتابه «التصوف» حيث قال:(ان القرن الذى أبرز المحاسبى والجنيد والحلاج ، قدم للتصوف الإسلامى ممن أسهموا فى بناء صرحه - من ليسوا أقل أهمية إلا بوجه من المقارنة ، وليس الحكيم أقل أهمية من هؤلاء).

وكذلك يضيف شيخ الإسلام[4] زكريا الأنصارى صاحب شرح الرسالة القشيرية وشرحها الشيخ العروسى المسمى النتائج الأفكار القدسية يقول عنه:الصوفى الشافعى ، صاحب التصانيف المشهورة ، اشتهر بملازمة العبادة بين العباد ، وتفرد من بين الصوفية بكثرة الرواية ، وعلو الإسناد ، ناسك سلك طريق القوم ، وصل التهجد وهجر النوم ، رحل فى طلب احديث والعلم ، وتلفح بمروط التقوى والحلم ، لقى الأكابر وأخذ عن أرباب

---

(١) الحلية ١٠/ ٢٣٣.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف - ص٣٢ - تحقيق د. عبدالحليم محمود ، وطه عبدالباقى سرور.

(٣) طبقات الصوفية - ص ٢١٧ تحقيق نور الدين شريبة.

المحابر، ومع ذلك كان صدراً معظماً ، وصوفياً محدثاً مفخماً كثير الكيس واللطافة ، غزير المعارف التى تحف أخلاقه وأعطافه ، تحلى بعقوده جيد زمانه، وتأرجت الأرض بعرف عرفانه، سمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره، وهو من أقران البخارى . . .

وكذلك يقول عنه السبكى[١] فى طبقات الشافعية . . . المحدث الزاهد، ويقول عنه ابن الجوزى فى صفة الصفوة[٢]: أنه من كبار مشايخ خراسان له التصانيف المشهورة.

ويقول الكتانى فى الرسالة المستطرفة[٣]: أنه أحد الأوتاد الأربعة وصاحب التصانيف.

وقال خير الدين الزركلى فى الإعلام عنه[٤] ، أنه باحث صوفى ، عالم الحديث وأصول الدين.

وقال عنه صاحب كنوز الأولياء ورموز الأصفياء[٥] : من كابر المشايخ ، وهو مجتهد فى الشريعة والطريقة ، وله مصنفات فيها ، ولم يقلد أحداً ، كان أعجوبة الدهر فى الكمالات العلمية والعملية ، وكان لا يتكلم إلا بالحكمة ولذا يقال له حكيم الأولياء.

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نذكر أن الحكيم الترمذى ، لقب بألقاب كثيرة منها لقب الشيخ والعالم ، والعلامة والمحدث ، والزاهد والحافظ والإمام والمؤذن.

---

(١) طبقات الشافعية ٢/ ٢٠.

(٢) ٤/ ١٤١ .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٥٦.

(٤) ٧/ ١٥٦ ط ثانية.

(٥) كنوز الأولياء ورموز الأصفياء - مخطوط الظاهرية (نقلاً من كتاب الحكيم الترمذى دراسة لآثاره وأفكاره) - ٣٤١.

أما الألقاب الملازمة لأسمه والتى لا تكاد تنفك عنه فهى الترمذى الحكيم فأما الأولى (الترمذى) فهذا اللقب لقب جرياً على عادة العلماء من أن ينسب العالم إل بلدته.

أما لقب الحكيم الذى لقب به لا بد أن نقف عنده إلى أن نستقى مصدره.

فما هو الحكيم؟ يقول صاحب المعجم الوسيط[1] : أنه ذو الحكمة ، ويقول د. عبدالفتاح بركه[2] (أن لقب الحكيم لا يطلق على كل فرد ، بل يطلق على أفراد قلائل من البشر ، فهو أذن من الألقاب الإصطلاحية التى تطلق لمعنى خاص يلاحظ فيما تطلق عليه وينبغى - إذن - لفهمه وإدارك معناه أن نرجع إلى الإصطلاح فيه ، وهنالك - بهذا الصدد - نوعان من الإصطلاح ، لا ثالث لهما.

أولهما : اصطلاح العالم نفسه الذى على أساسه أصبح قابلاً لهذا اللقب .

ثانيهما : إصطلاح طائفة من العلماء من أقرانه فى ميدان من العلم والذى على أساسه أمكن لهم أن يطلقوا عليه هذا اللقب ، وقد يستأنس أيضاً بإصطلاح طوائف من علماء الفنون الأخرى ، فكثيراً ما تلتقى المصطلحات وتتقابل مع إختلاف العلوم.

فما هو معنى الحكمة ، فى إصطلاح الترمذى نفسه ؟ وفى إصطلاح طائفته من العلماء؟ وبإعتبار أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف هما أصل الأصول فى كل علم إسلامى ، فإنه يستحسن أن نورد آية وحديثاً مما

---

(١) المعجم الوسيط ١/ ١٩٠.

(٢) الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ١/ ٥٦، ٥٧.

يتردد كثيراً على ألسنة الصوفية ، لنستند إليهما فى حديثنا، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (١).

وروى القشيرى فى رسالته بسنده عن اسماعيل بن أبى خالد(٢) عن مكحول(٣) مرفوعاً قال: « ما أَخْلَصَ عَبْدُ قَطّ أَرْبَعينَ يَوماً إلاَّ ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسانِه»(٤).

وروى السهرورى بسنده فى عوارف المعارف مرفوعاً قال: حدثنا الحجاج عن مكحول ، قال: قال رسول الله ﷺ : (مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ العِبَادَةَ أَرْبَعِينَ يوماً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنَ قَلْبِهِ عَلَى لِسانِه) ويفسرها الفخر الرازى بقوله: المراد من الحكمة : إما العلم ، وإما فعل الصواب ، بعد أن يروى أربعة

---

(١)سورة البقرة - الآية ٢٦٩.

(٢) اسماعيل بن أبى خالد - الأحمس مولاهم - روى عن أبيه وأبى جحيفه وعبدالله بن أبى أوفى وعمر بن حريث وأبى كاهل وهؤلاء صحابه ومن التابعين زيد بن وهب ومحمد بن سعد وأبى بكر بن عماره بن روبيه وقيس بن أبى حازم والشعبى وغيرهم ، وعند شعبة والسفيانان وزائده وابن المبارك وغيرهم قال فيه العجلى: كوفى تابعى ثقة - تهذيب التهذيب ١/ ٢٩١.

(٣) مكحول : الشامى أبو عبدالله ، روى عن النبى ﷺ مرسلاً وعن أبى بن كعب وثوبان وعباده ابن الصات وأبى هريرة وعائشة وأم أيمن وأبى ثعلبه الخشنى مرسلاً وغيرهم وعنه الأوزعى وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر وثور بن يزيد الحمصى وسليمان بن موسى وغيرهم ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من تابعى أهل الشام ، قال العجلى : تابعى ثقة ، وقال ابن خراش : شامى صدوق وكان يرى القدر - تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩١.

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٣٧ ، وقال أخرجه بن أبى شيبه والمروزى فى زوائد الزهد وأبو الشيخ ابن حيان عن مكحول بلفظ أربعين صباحاً.

وكذلك قال فى اللآلئ ٢/ ١٧٦ ، وقال اقتصر العراقى فى تخريج الإحياء على تضعيف الحديث ، وكذلك أخرجه ابن أبى شيبه فى المصنف وله شاهد أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا عن صفوان بن سليم مرسلاً من زهد الدنيا أدخل الله الحكمة فى قلبه.

وذكرة الزبيدى فى الإتحاف ١٠/ ٤٥ ، وقال: قال العراقى رواه بن عدى ومن طريقة ابن الجوزى فى الموضوعات ، ورواه صاحب الحلية عن طريق مكحول عن أبى أيوب وسنده ضعيف ، ورواه أحمد فى الزهد مرسل عن مكحول ، وكذا رواه القشيرى فى رسالة بلفظ « ما أخلص عبد قط أربعين يوماً »الحديث وله شاهد من حديث ابن عباس رواه القضاعى فى المسند.

وجوه لتفسير الحكمة فى القرآن ، أولها : مواعظ القرآن ، ثانيهما: الفهم والعلم ، ثالثهما:النبوة ، رابعها: القرآن ، يقول : وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم ، ثم يقول : وأما الحكمة بمعنى الصواب فقيل فى حدها : أنها التخلق بأخلاق اللّه بقدر الطاقة البشرية ، ومدار هذا المعنى على قوله ﷺ : تخلقوا بأخلاق الله تعالى)[1].

وابن سينا جعل الحكمة تشتمل على الرياضيات والطبيعيات والألوهيات أو على السنة بعض المحدثين فيشتمل أيضاً على علوم الأسرار - السحر والطلمسات والكيمياء[2].

وبينوا أن الحكمة شئ أغلى من العلم ، وفى هذا المجال يقول ابن عطاء[3] الأوفى: كل ما سئلت عنه فاطلبه فى مفازة العلم ، فإن لم تجده ففى ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزنه بالتوحيد ، فإن لم تجده فى هذه المواضع الثلاثة : فاضرب به وجه الشيطان.

ويقول الكلاباذى[4]: فأول ما يلزم علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها ، ومكائد العدو ، وفتنة الدنيا ، وسبيل الإحتراز منها ، وهذا العلم هو علم الحكمة.

ثم يستتبع د. بركة[5] فى كتابه عن الحكمة قائلاً : فإذا انتقلنا إلى معناها الإصطلاحى لدى الحكيم الترمذى ، فسوف نجد تفصيلات دقيقة . . . ، إلى أن يقول الحكيم فى كتابه (نظائر القرآن) وأما قوله الحكمة على كذا وجه : فالحكمة باطن العلم، فالظاهر للعلماء بأمر الله ، والباطن للعلماء بالله

(١) تفسير مفاتيح الغيب ٢/ ٣٤٧ ، ٣٤٨.
(٢) التصوف الصورة الروحية فى الإسلام لأبى العلاء عفيفى - ص١٨ .
(٣) الرسالة القشيرية - ص
(٤) التعرف - ص٨٧. .
(٥) الحكيم الترمذى - ونظريته فى الولاية ١/ ٥٩ .

وتدبير الله ، يقول فى كتابه الفروق : والعلم - أى الظاهر- يدرك بالتعليم، والحكمة لا تدرك لأنها من المنة ، فمن أراد أن يمن الله عليه طهر مكانه ، ثم بعد ذلك تضرع إلى الله وترغب بحقيقة الرغبة.

ويقول صاحب كتاب المعرفة عند الحكيم الترمذى : (أنه تناول فى مؤلفاته تصوير مذهب جسده فى صورة أطلق عليها لقب الحكيم ، ثم حاول هو بعد ذلك أن يكون الصورة الحية الناطقة لهذا المذهب ، فتراه فى حياته وقلبه واعتقاده ثم تسمى بهذا اللقب دون غيره من ألقاب العلماء[1].

ونجد أن من لقب بهذا الاسم (الحكيم) : أبو القاسم بن محمد الحكيم السمرقندى ، وأبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق ، وهو من تلامذة الحكيم الترمذى . كما سبق أن أشرنا حين الحديث عن تلامذته.

(١) المعرفة عند الحكيم الترمذى - ص٣١ - ط دار الكاتب العربى - القاهرة.

obeikandl.com

اتهام العلماء له

قد أدى الإختلاف فى المنهج والقدرة على الإستنتاج إلى أن يتناول بعضهم الحكيم بالنقد والتجريح ، وأحياناً بالإيذاء والاتهام بالهوى والبدعة ، ونقل ابن حجر فى لسان الميزان[1] عن القاضى كمال الدين بن العديم وهذه التهم هى:

أولاً : رواة الحديث قالوا عنه : بأنه ليس من أهل الحديث ولا من رواته بل أنه ملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة ، وحشاها بالأخبار التى ليست مروية ولا مسموعة.

ثانياً : الفقهاء قالوا عن أنه أدخل فى علم الشريعة ما فارق به الجماعة وعلل جميع الأمور الشرعية التى لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وأوهاها.

ثالثاً : أما المتصوفة فألقوه بأنه كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق ، حتى خرج بذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق الطعن عليه بذلك والإزدراء.

وقد وصل الأمر بهؤلاء الناس أن يغروا به الحاكم ويشوا به إلى الولاة فرفعوا أمره إلى والى بلخ وكتب عليه فى حضوره ألا يتكلم فى الحب ، وفى هذا الشأن يقول الحكيم الترمذى : (وتقولوا على مالم يخطر ببالى حتى صرت إلى بلخ وكتب على قباله أن لا أتكلم فى الحب)[2].

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٨.

(٢) بدو شأن الحكيم (مقدمة ختم الأولياء) - ص١٨.

وفى تصوير الحكيم للمحنة يقول : (فكان يكون لنا إجتماع فى الليالى نتناظر ونتذاكر وندعو ونتضرع بالأسحار ، فأصابنى غموم من طريق البهتان والسعايات ، وحمل ذلك على غير محمله ، وكثرت المقالة ، وهان ذلك كله علىّ، وسلط علىّ أشباه ممن ينتحلون العلم ، يؤذوننى ويرموننى بالهوى والبدعة ويبهتون ، وأنا فى طريقى ليلاً ونهاراً دؤباً دؤباً)[1].

وقد بلغ الأمر أن أصبح الحكيم لا يستطيع الخروج خشية من تشنيع العامة وإنكارهم عليه بفعل هؤلاء الناس ، وطلب إليه ألا يتصل بالناس ولا يتحدث اليهم ولا يغادر بيته ، وكانت تلك فترة عصيبة طويلة شديدة الوقع على قلب الترمذى ونفسه ، وإن كانت بعيدة الأثر فى سلوكه وأفكاره ، وأغلب الظن أنه كتب رسائله فى هذه الفترة التى يبدو أنها تعددت وامتدت أكثر من عشر سنوات ويؤخذ ذلك من قول نسب إليه وهو : (كنت كلما اشتد علىّ وقتى أتسلى بمصنفاتى).

وعلى الرغم من المرارة التى شعر بها الحكيم من هذا البهتان الذى أبتلى به إلا أنه أنتهز فرصة هذه الشدة ليحكم سيطرته على نفسه ويتم له إخضاعها وتذليلها ويتخلص من شهواتها الكامنة ، وأهوائها المتربصة ، وهكذا فعل، حتى أنه ليحدثنا : (أنه كان يمشى حافياً فى الطرقات ، ويلبس الدون من الثياب ويحمل ما يحمله العبيد والفقراء، وكانت نفسه تأنف قبل ذلك أن تأتى بمثل هذه الأمور إلا أنه استطاع إخضاعها وترويضها حتى ذلت واستكانت ، حتى أنه ليستشعر فى قلبه حلاوة هذه الذلة)[2].

ويبدو فى فترة أخرى من حياة الحكيم أنه طرد من بلده ، وقد ذكر لنا السبكى هذا فقال : (قال أبو عبدالرحمن السلمى : نفوه من ترمذ ،

---

(١) المرجع السابق - ص١٧، ١٨

(٢) بدو الشأن (مقدمة ختم الأولياء) - ص١٨

وأخرجوه منها ، وشهدوا عليه بالكفر ، وذلك بسبب تصنيفه (ختم الولاية) وكتاب (علل الشريعة) وقالوا أنه يقول أن للأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتماً ، وأنه يفضل الولاية على النبوة ، واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام : (يغبطهم النبيون والشهداء) ، وقالوا : لو لم يكونوا أفضل منهم لم يغبطوهم، ثم جاء إلى بلخ فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذهب - ثم اعتذر السلمى عنه ببعد فهم الفاهمين ، فقال: ولعل الأمر كما زعم السلمى، وإلا فما نظن بمسلم أن يفضل بشراً على الأنبياء عليهم السلام)[1].

وتمثل فكرة الولاية عند الحكيم الترمذى حجر الزاوية والأساس فى آرائه والمنطلق الذى يبنى عليه وجهة نظره فى السلوك ورياضة النفس وتحصيل المعرفة بل كافة المعارف.

ونظرية الولاية والأولياء عند الحكيم الترمذى تتلخص فى أن الموحدين كلهم أولياء الله وأحبابه ، والله وليهم ومحبهم ومحبوبهم والأهم بالمنة فوالوه بالتوحيد ثم للتوحيد عليهم حق الوفاء بما فى التوحيد ، فوقع الجهد على العباد فى هذا الوفاء بما فى نفوسهم من المفازعة ، لأن الهوى ينازع صاحبه ويدعوه إلى ما فيه ترك الوفاء للتوحيد.

والولاية على وجهين : ولاية يخرج بها العبد من العداوة ، وهى ولاية التوحيد، وولاية يخرج بها من الخيانة ، فيكون أميناً من أمناء الله عز وجل قد جاهد نفسه فى ذات الله تعالى ، حتى كف نفسه وجوارحه السبع عن محارم الله تعالى وأدى فرائضه فلزم اسم الورع ، ثم ألقى الشهوات وفضول الأشياء المباحات من الكلام والنظر والإستماع ، والطعم والشرب ، والركوب

(١) طبقات الشافعية للسبكى ٢/ ٢٠.

واللباس والمكاسب حرصاً ، فلزمه اسم التقوى فيقال : متقى ، فقد استقام أمر ظاهره)[1].

وجاء الولى فى اللغة : بمعنى القريب والمحب والصديق والنصير والمولى والمالك والعبد والمعتق والصاحب والجار والحليف والمنعم والمنعم عليه.

(واستعمال القرآن الكريم لمادة ولى ، ولما جاء الإسلام جرت الكلمة على لسان الوحى، وتكرر ورودها فى القرآن الكريم والأحايث النبوية الشريفة إلا أنها اتخذت إتجاهاً جديداً فى الإستعمال ، وإن كان لم يخرج عن دائرة الإشتقاق الملحوظ فى معناها العام من قبل.

وقد وردت كلمة ولى فى القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة فى أوضاع اعرابية مختلفة ، وجاءت كلمة أولياء اثنتين وأربعين مرة ، وجاءت كلمة ولاية مرتين فقط وجاءت كلمة موالى ثلاث فقط ، ومن استقراء استعمال القرآن الكريم لهذه الألفاظ ولى، أولياء ، مولى ، ولاية ، نجد أن أظهر المعانى التى استعملت لها هو التناصر ، إلا آية واحدة ، فإن معنى القرابة أكثر وضوحاً فيها من غيرها وهى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[2].

فالواضح أن المقصود بالموالى هم الأقارب وإن كان معنى التناصر أيضاً ولكن تبعاً)[3].

(ومنازلهم فى الولاية على قدر حظهم من الإستجابة المذكورة فى الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾.

---

(١) آداب المريدين - للحكيم الترمذى - تحقيق د. عبدالفتاح بركه - ص ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة مريم - الآية٥.

(٣) الحكيم الترمذى - آثاره وأفكاره - ص١٩٦ ، ١٩٧.

وهم فى حظوظهم من الإستجابة على أربعة أقسام يلخصها الحكيم بقوله:

١ - اجابته طائفة بأن آمنوا به وخلطوا فى عمل الأركان فقيل لهم : لكم بما اجبتم حياة القلوب توحيداً.

٢ - ثم تقدمت ثانية فاخلصوا القلوب من التخليط فقيل لهم لكم بما اجبتم حياة الأركان طاعة وتسليماً.

٣ - ثم تقدمت ثالثة فأخلصوا القلوب وتطهروا من شهوات النفوس وأعمال الهوى فقيل لهم: لكم بما أجبتم إنقياد حياة النفوس الشهوانية لما يأتى به القلب ويرد عليه اليقين.

٤ - ثم تقدمت رابعة تتقرب إليه فقيل لهم: لكم بما أجبتم حياة القلوب والنفوس جميعاً.

فكل طائفة إنما تعطى من هذه الحياة التى وعد الله بها على قدر استجابتها لدعوته.

(والأولياء هم الذين ينزلون الاشياء منازلها حيث أنزلها الله موافقة له سبحانه فى أموره ، وسبيل ذلك أن يروا الدنيا جسراً فلا يطمئنون إليها ولا يشتغلون بعمارتها... هذا هو المبدأ الأول لمن أراد أن يسلك هذا الطريق وعلى قدر صدقه فى سيرته وصبره على مدافعة أهواء نفسه يفد عليه من فيض الله بقدر ما يبذل من الصدق، فكلما تطهر من علاقة وتخلص منها حل عن قلبه[1].

قال الهجويرى : (فاعلم أن أساس التصوف والمعرفة قائم على الولاية وقد أكد هذه الحقيقة كل الشيوخ وإن اختلفت عباراتهم فى ذلك ، وكان

(١) ختم الأولياء للحكيم الترمذى - تحقيق عثمان يحيى - ص ١٢٧ ، ١٢٨

محمد بن على الحكيم هو أول من طبق هذا الإصطلاح على أصول التصوف، وقد ألف الشيوخ كتباً فى هذا الموضوع ، ولكنها نادرة وليست فى متناول أحد ، وسأشرح لك أقوال هذا العالم الصوفى صاحب الرأى (يقصد الحكيم الترمذى) حتى تنتفع بهذه الآراء.

وكذلك من يقع هذا الكتاب فى يده ، فاعلم أن الولى هو لفظ جار على ألسنة الناس ، وجاء فى القرآن وحديث الرسول ﷺ . . . فمن هذا نرى أن الله تعالى اختار له أولياء اختصهم بصحبته واختارهم حكاماً لملكه ، ومنحهم أنواع الكرامات وطهرهم من فساد الطبع ، ومن وساوس النفس والهوى ، وجمع أفكارهم فيه ، ومعرفتهم به ، كانوا فيما مضى ، وهم الآن كذلك ، وإلى ما شاء الله إلى يوم القيامة.

لأن الله فضلهم على غيرهم ووعد بحفظ دين محمد ، ولما كانت أدلة النقل والعقل لهذا الدين هى عند العلماء ، فإن دلائل الرؤية والبصيرة إنما هى عند الأولياء والمختارين عند الله ، ويخالفنا فى هذا الأمر فريقان هم : المعتزلة والحشوية ، فأما المعتزلة فإنهم يقولون بأفضلية المسلم على غير المسلم، ولكن إذا كان الولى لا يفضل غيره ، فالنبى كذلك لا يفضل غيره ، وهذا كفر ، والحشوية العوام يقولون بالتفضيل، ولكنهم ينكرون وجود مثل هذا النوع الآن ، وإن كان موجوداً فى الماضى، وهو إنكار أيضاً . . . والله تعالى جعل دلائل النبوة باقية إلى الوقت الحاضر وجعل الأولياء مظهراً لهذا المعنى، علامة واضحة مستمرة على نبوة محمد فجعل الأولياء حكام هذا العالم ، واختارهم لهذا العمل وجعلهم لا يتبعون آثار حواسهم فببركة حلولهم تمطر السماء وبنقاء حياتهم ينبت الزرع من الأرض ، وبدعائهم ينتصر المسلمون على الكفار وهم ليسوا معصومين من الذنب لأن ذلك للأنبياء خاصة ولكنهم محفوظون من الفتنة بالولاية.

هذه هى أصول مذهب محمد بن على الحكيم الترمذى وكذلك الجنيد وأبى الحسن النورى والحارث المحاسبى ، وغيرهم من أهل الحقائق.

وأعلم أن شيوخ الصوفية بوجه عام ، يقولون أن الأولياء فى كل وقت وحال أقل رتبه من الأنبياء ، وأن الأنبياء أفضل من الأولياء لأن نهاية الولاية بدء النبوة وكل نبى ولى وبعض الأولياء ليسوا بأنبياء والأنبياء خالون دائماً من الصفات الإنسانية ، والأولياء كذلك فى بعض الأوقات ، والحال عند الولى هو مقام عند النبى وما هو عند الأولياء مقام هو عند الأنبياء حجاب.

هذه هى أصول أهل السنة والمتصوفة)[1].

ومن هذا كله وبعد ذكر ما أثير حول الترمذى والولاية وإلى أنه يرفع الولى ويقدمه على النبى نستطيع أن نقول: (أن الحكيم يرى أن الولاية وهى القربة إلى الله تعالى ، تعم المؤمنين ، قال تعالى: ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾[2] وهناك ولاية خاصة ، وهذه درجات ومنازل فمنها منزلة المحدثين ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: « ان فيكم محدثين وان منهم عمر »[3] وهم الذين اختارهم الله ، وقربهم إليه بالمناجاة والحديث وأنزل عليهم السكينة ، واختصهم بالاسم الخفى ، وجعل لهم التصرف فى الخلق بالحق.

ومن الولاية ولاية الأنبياء والمرسلين ، وهؤلاء يحملون فى نفوسهم الولاية فى الباطن بخواصها ، ولكنهم قد امتازوا بخاصة ، وهى الوحى والنبأ والرسالة وهو ظاهرة النبوة. . .

---

(١) كشف المحجوب للهجويرى (ترجمة نلكسون) ص ٢١٠ - ٢٤١ (نقلاً من مقدمة كتابى الرياضة وأدب النفس للدكتور / على حسن ، د. آربرى - ص٢٢، ٢٣).

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٥٧.

(٣) سيأتى تخريجه.

والولاية أفضل من النبوة ، وذلك فى معنى أن ولاية النبى أفضل من نبوته لأن نبوة التشريع متعلقة بمصلحة الوقت ، والولاية لا تعلق لها بوقت ، والنبوة صفة الخلق دون الحق ، والولاية صفة الحق ، وبهذا يطلق على الله اسم الولى دون النبى ظاهر الحال ، ولكن الولى مستور الحال ، والكون ناطق بولايته ، والنبوة مختومة من خيث الانباء والأخبار ، ولكنها دائمة من حيث الولاية والتصرف لأن نفوس الأولياء حملة تصرف ولايته ، يتصرف بها الخلق بالحق إلى قيام الساعة[1].

ومن تمام الفائدة أن نذكر (أن طريق الأولياء غير طريق الأنبياء فالأنبياء أهل جبايته بمشيته ، والأولياء أهل هدايته بإنابتهم إليه ، وقد بين ذلك فى تنزيله بقوله جل وعلا: ﴿ الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾[2].

فمن اجتباه ، جذب قلبه إليه جذبة ثم سار بقلبه إليه على طريقه الذى جذب إليه، ومن أناب إليه فتح له طرق إنابته إليه فهداه ، فطريق الأنبياء مختصر وطريق الأولياء طريق الجادة التى شرعها لعباده على الصدق والوفاء بتطهير القلوب ، وتصفية الأخلاق ليصلوا إليه ، والأنبياء يسار بهم على طريق جذبتهم لأعلى طريق النفس ، فهذا فرق ما بين الأنبياء والأولياء ، ثم له من الأولياء صفوة إختصهم ليكونوا خدمه ، والدعاة إلى الله هم أصحاب الألوية غداً وأهل الثناء عليه فى الموقف على مقدمة صفوف الأولياء ، فهم خاص الخاص إجتباهم على طريق الأنبياء فساروا إليه جذباً لا سيراً ، جذب قلوبهم على طريقهم وسار بهم على ذلك الطريق نفساً فأقامهم دونهم فيما بين الأنبياء والأولياء فهم من الأنبياء على الإذن قرباً والأولياء على الأقفية فهم أكثر انتباهاً ويقظة وأبصر بطريق الأنبياء لأنهم ساروا على ذلك مجذوبين، فهم المنفردون الذين غرقت قلوبهم فى وحدانيته وانفردوا عن الأشياء ، فهم المحدثون الذين

(١) المرجع السابق - ص٣٤ ، ٣٥.

(٢) سورة الشورى - الآية ١٣ .

روى عنهم رسول الله ﷺ أنه قال : « كان فى الأمم قبلَكم محدَّثون فإن يكن فى أمتى فعمر بن الخطاب»[1] ، وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولامحدث»[2].

فهؤلاء طبقة من الأنبياء والأولياء ، مجتبون من مشيئته ، برزت لهم هذه الكرامة فهم فى قبضته ، به يسمعون وبه يبصرون ، وبه يثقلون ، وبه يتعرفون فى الأحوال ، وهو يستعملهم فقدوا رؤية الأحوال وخيال النفس وظل الهوى فهم تابعوا محمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾[3].

ومن كتاب (معرفة الأسرار) - للحكيم- تناول الحديث عن النبوة[4] واجزائها حديثاً مستفيضاً لم يتناوله كتاب آخر وكذلك عقد باباً عن الولاية[5].

وكلامه عن النبوة فى هذا الكتاب ينفى ما قيل عنه وما نسب إليه من أنه يفضل الولاية على النبوة فيقول: (العقل جليل وأجل منه الإيمان ، وأجل من الإيمان الصديقية لأنه لا يكون صديقاً إلا معه العقل والإيمان، والصديقية بداية النبوة ، وصديقية النبوة غير صديقية الأمة. . . إلى أن يقول:النبوة هى حالة تامة ، وما زاد عليها يكون زيادة على الفضل لا زيادة على النقصان قال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [6] ذلك إلى أن يصل إلى

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الأنبياء : باب ٦/ ٥١٢ . ، وكتاب فضائل الصحابة : باب فضائل عمر رضى الله عنه ٧/ ٤٢ . ، ومسلم فى صحيحه : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل عمر رضى الله عنه ٤/ ١٨٦٤ ط ، الحلبى، والترمذى فى سننه، كتاب المناقب : باب مناقب عمر رضى الله عنه ٥/ ٦٢٢، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح وقال معنى محدثون : قال سفيان بن عيينه : مفهمون، وأحمد فى المسند من حديث عائشة رضى الله عنها ٦/ ٥٥ .

(٢) سورة الحج - ٥٢ (ولكن لم ترد كلمة محدث فى واحد من القراءات الحديثة المشهورة.

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٤) معرفة الأسرار للحكيم الترمذى - تحقيق د. ابراهيم الجيوشى ص٦٧ - ٧٥.

(٥) المرجع السابق : ص ٨١ - ٨٦.

(٦) سورة الأسراء : الآية ٥٥ .

فصل فى ذكر سائر النبوة ودرجاتها فيقول : أعلم أن النبوة ستة وأربعون جزءاً ولا تجتمع هذه الأجزاء إلا لنبى ، وما كان له من هذه الأجزاء جزءان أو ثلاثة على الحقيقة يكون صاحبه أبداً ولياً يقوم به الدنيا(١) .

كما بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : (الرُّؤْيَا الَحَسَنَةُ مِنَ الْمُؤمِن جُزْء مِن سِتَّة وَأَرْبعِينَ جُزْءاَ مِنَ النُّبوَّة)(٢) .

(وهذا نص صريح يعرض تصور الحكيم الترمذى لمنزلة النبوة وأن كل درجات الولاية دونها مكانة ، وتشكل أجزاء منها ، ولعل هذا الإتهام هو بقية من آثار الحملة التى قادها ضده فى أثناء حياته هؤلاء الذين كان يسميهم علماء الرسوم ولم يكن لهم من نور العلم ولا صفائه ونقائه الذى ينعكس على السلوك والتصرفات أدنى نصيب ولهذا تمسكوا بالقشور ولم يستطيعوا أن يغوصوا إلى الجوهر فلم يكن لهم من العماء إلا الاسم فقط(٣) .

---

(١) معرفة الأسرار : ص٦٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التعبير - باب الرؤيا الصالحة - جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ١٢/ ٣٧٣ .

وباب القيد فى المنام ١٢/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

ومسلم فى صحيحه : كتاب الرؤيا : باب ٤/ ١٧٧٤ .

وأبو داود فى سننه : كتاب الأدب : باب ما جاء فى الرؤيا ٢/ ٦٥٣ .

والترمذى فى سننه : كتاب الرؤيا : باب رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعن جزء من النبوة ٤/ ٥٣٢ ، وقال أبر عيس : هذا حديث حسن صحيح .

وورباب ذهبت النبوة وبقية المبشرات ٤/ ٥٣٣ ، وقال : حسن صحيح .

وباب ما جاء فى تعبير الرؤيا ٤/ ٥٣٣ ، وقال حسن صحيح .

وابن ماجه فى سننه - كتاب تعبير الرؤيا - باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ٢/ ١٢٨٢ ، وباب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد ٢/ ١٢٨٨ ، وباب أصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا٢/ ١٢٨٩ .

والدرامى فى سننه ، كتاب الرؤيا : باب رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ٢/ ٤٨ .

ومالك فى الموطأ ، كتاب الرؤيا - باب ما جاء فى الرؤيا٢/ ٩٥٦ .

وأحمد فى المسند من حديث أنس ٣/ ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ٢٥٧ ، ومن حديث عباده بن الصامت٥/ ٣١٦ ، ٣١٩ .

(٣) الحكيم الترمذى ، دراسة لأثارة وأفكاره ، ص٢٥ .